بسم الله الرحمن الرحيم

المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية

١٣

ثقافة التقريب

مجلة ثقافية شهرية تصدر عن المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية

العدد ١٣ ـ جمادى الأولى ١٤٢٩هجرية قمرية

خرداد ١٣٨٧هجرية شمسية / حزيران (يونيو) ٢٠٠٨م

- الآراء الواردة لا تعبّر بالضرورة عن وجهة نظر المجمع العالمي للتقريب
- تسلسل الموضوعات خاضع لاعتبارات فنية

المراسلات:

فاكس: +9821 88321616 هاتف: +9821 88321411

العنوان البريدي للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية:

الجمهورية الإسلامية في إيران – طهران – ص. ب: ٦٩٩٥ـ١٥٨٧٥

العنوان الالكتروني: info@taghrib.ir

الموقع: www.taghrib.ir

ثقافة التقريب

ملحق

رسالة التقريب

مجلة تثقيفية عامة تهتمّ بعرض الأفكار التي ترتبط بوحدة الأمة مباشرة أو بصورة غير مباشرة، مع التأكيد على ضرورة وضع المسلمين أمام مسؤولياتهم الكبرى في استعادة العزّة والكرامة واستئناف البناء الحضاري

الإشراف العام

الشيخ محمد علي التسخيري

هيئة التحرير

مجموعة من الكتّاب الرساليين المهتمين بمستقبل الأمة الإسلامية وبوحدة الدائرة الحضارية للعالم الإسلامي

إعداد المجلة:

مركز الدراسات الثقافية الإيرانية العربية

www.iranarab.com

منهجنا في نشر المقالات

١ـ أن يكون المقال ما قلّ في الصفحات ودلّ على فكرة مفيدة في حقل التقريب وصحوة الأمة ووحدتها.

٢ـ للمجلة الحقّ في التلخيص وتعديل العبارات، دون أي مساس في المحتوى، كي يكون المقال منسجمًا مع الإطار العام للمجلة.

٣ـ يحقّ للكاتب أن يطلب عدم ذكر اسمه، وهيئة التحرير سوف تنشر مقالاتها دون ذكر كاتبيها تجنبًا لتكرار الأسماء.

٤ . ننشر أيضًا مختارات وعصارات مما كُتب في تراث التقريب.

٥ . المقالات والتعليقات التي تعارض هدف المجلّة سوف ننشرها أيضًا إذا كانت ملتزمة بأدب الاختلاف، مع الاحتفاظ بحقّنا في التعليق.

المحتوى

العدد ١٣

الإمام الخميني الفرصة والتحدّي.......................... ٤

رسائل القرآن.. ٧

الإمام الخميني في رؤية السيد القائد......................... ١١

التوازن في نهج الإمام الخميني (ره)........................ ٢١

روح الله الخميني....................................... ٢٥

حوافز في خطاب الإمام الخميني تجاه القضية الفلسطينية.... ٤١

فكر الإمام الخميني العرفاني............................ ٥٠

ملامح مشروع الإمام الخميني ٦٣

تقرير عن المؤتمر الحادي والعشرين للوحدة الإسلامية/القسم الثاني... ٧٢

عرض لأوراق : عبدالعزيز عثمان التويجري، جعفر عبدالسلام، بلال حسن التل، توفيق علي وهبة، خالد الزهري، عبدالحق عزوزي، عفاف الحكيم، علي بن مبارك، محسن عبد الحميد، محمد البشاري.

مؤتمر مكة المكرمة ١٢٣

الإمام الخميني

الفرصة والتحدّي

الإحياء الثقافي أكبر تحدّ يواجه المسلمين.

مشكلتهم الأساسية هي «الفتور» كما يقول الكواكبي، والفتور تعبير آخر عن الركود الثقافي، وهذا الركود يستتبعه عادة ركود في الإنتاج الحضاري، وابتعاد عن أداء الدور المطلوب على الساحة العالمية..

إذا رأيت في أمتنا تمزّقاً وتشتتاً، إذا شاهدت فيها ألوان الصراعات، إذا تسلّط عليها من يسومها سوء العذاب، إذا شعرت فيها روح الهزيمة والتخاذل والاستسلام، إذا ألفيت فيها ألف ضعف وضعف، فإنما يعود ذلك إلى الركود الثقافي.

والركود علاجه الإحياء.. والإحياء يحتاج إلى مشروع إحيائي ينطلق من ضمير الأمة ووجدانها وعقيدتها، ويستوعب الظروف المعاصرة.. كما يحتاج أيضا إلى القيادة التي تثبت إخلاصها للأمة، فتقودها نحو تحقيق هذا المشروع. كل ذلك توفّر في ظاهرة «الخميني».. وبانبثاق هذه الظاهرة وما حققته من انتصار على أكبر تحدّ في عالمنا الإسلامي دبّت الحياة في جسد الأمة،

فظهرت الصحوة.. والانتفاضة.. وبوادر استئناف مسيرة الحضارة الإسلامية، على مستوى متطلبات العصر.

لكن هذه الظاهرة حفّزت كلّ أعداء الإحياء الإسلامي لمواجهتها.. بالحرب الثقافية والإعلامية والاقتصادية والعسكرية والمخابراتية والإرهابية.. فصيّروا منها ظاهرة أخافت بعض الحكام، وشوّهت الصورة أمام بعض المثقفين، وأثارت حساسيات طائفية وقومية لدى الغافلين.. دعك من العملاء والمرتزقة والحاقدين الذين جنّدهم أعداء الإحياء لتطويق هذه الفرصة الإحيائية.

غير أن عملية الإحياء الخمينية يبدو أنها من العمق في النفوس بحيث أن براعمها تُفرّع وتُورق وتُثمر هنا وهناك، حتى لم تعد نقطة في العالم الإسلامي إلاّ وتجد آثار هذا الإحياء رغم كل عمليات التطويق.

وثمة مسألة أهمّ هي أن ما أحاطوا به هذه الظاهرة من مخاوف وهواجس بدأت تتكشف، وبدأت الغيوم تنقشع لتظهر الصورة الحقيقية لهذا الرائد الإحيائي الكبير. بدأ الحديث يدور في المحافل الفكرية والأدبية عن عرفان الإمام الراحل وأدبه وشعره، واهتمامه بعزة المسلمين حكاماً وشعوبًا، وبدأوا يراجعون تحذيراته إلى أصحاب القرار في العالم الإسلامي من الغزو الأمريكي الذي يريد أن ينزع منهم القرار، ويجعل منهم منفّذين لمشروع الإذلال

دون أن يكون لهم حول ولا قوّة.

بدأ العالم الإسلامي يفهمُ ما كان يقوله هذا الإحيائي الكبير عن العدو الصهيوني، وأصبح يعلمُ أن موقفه من هذا العدوّ لم يكن موقفًا سياسياً فقط، بل هو جزء من مشروعه الثقافي الرامي إلى عزّة المسلمين. فقد كان يرى في الظاهرة الصهيونية بأنها زُرعت من أجل صدّ حركة العالم الإسلامي عن استعادة عزته وكرامته وحياته ودوره الحضاري.

وهاهي الصهيونية العالمية تتحرك اليوم بوقاحة وصراحة وسرعةٍ لإذلال بلدان العالم الإسلامي حكامًا وشعوبًا، وللوقوف بوجه كل تقدّم علمي في بلدان المسلمين، ولمحاربة حتى البلدان العربية التي طبّعت علاقاتها بالعدو، ولا تتورع في هذا المحاربة عن كل السبل القذرة بما في ذلك نشر العهر والفساد وشراء الذمم ونشر الايدز وإشاعة المخدرات ودعم الإرهاب...

إن الخمينية فرصة لعزة المسلمين حكامًا وشعوبًا، لكنها فرصة محاطة بألوان التحديات، وعسى أن يرتفع مستوى وعي العالم الإسلامي إلى مستوى مواجهة هذا التحديات.

بمناسبة الذكرى التاسعة عشرة لرحيل هذا الإحيائي الكبير نخصص في هذا العدد صفحات لإلقاء الضوء على مشروعه الرسالي.

رسائل القرآن

محسن قراءتي *

٤٠- ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴾.

الرسائل:

● بنو إسرائيل (وإسرائيل هو الاسم الآخر للنبي يعقوب، ويعني عبدالله) في تاريخهم، ابتداءاً من السيطرة الفرعونية عليهم ومروراً بإنقاذهم على يد موسى(ع)، ثم ارتدادهم وتيههم وحوادث مسيرتهم التاريخية تتضمن سلسلة دروس هامة للأمة الخاتمة، فالسنن التي جرت على هؤلاء القوم ستتحقق ـ حسبما جاء في الروايات ـ على المسلمين إن لم يكونوا واعين على معالم مسيرتهم.

● الآية تأمر القوم بالوفاء بعهد الله، وعهد الله كل ما رسمه الله للبشر في الشريعة الإلهية وفي الفطرة، والقرآن ذكر الإمامة على أنها عهد : ﴿لا ينال عهدي الظالمين﴾ والوفاء بالعهد يعني إذن الوفاء للقيادة الربانية وإطاعتها. وفي الروايات ذُكرت الصلاة على أنها عهد إلهي (الوسائل ٤/١١).

● ذكر نِعَم الله سبحانه يوفّر مقدمات الوفاء بعهد الله: ﴿اذكروا نعمتي... وأوفوا بعهدي﴾.

---

* ـ داعية إسلامي معروف.

● ذكر نعمة الله من الواجبات المفروضة كما جاء في الأمر: ﴿أذكروا﴾.

● النِعمَ التي أغدقها الله سبحانه على أجداد القوم هي بمثابة النِعَم التي وهبها للقوم أنفسهم. فالخطاب لليهود المعاصرين لنزول الرسالة يقولم لهم: ﴿اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم﴾ والمقصود على أجدادكم.

● الوفاء بعهد الله من الواجبات المفروضة: ﴿وأوفوا بعهدي﴾

● استحصالُ ألطاف ربّ العالمين مشروط بالحركة على طريق أداء التكليف الإلهي: ﴿وأَوفوا بعهدي أُوفِ بعهدكم﴾ ، وطاعة ربّ العالمين شرط في استجابة الدعاء.

● قوله سبحانه: ﴿وإياي فارهبون﴾ تعني أن الإنسان في أداء التكليف الإلهي يجب أن لا تمنعه رهبةٌ من قوة أو سطوة، ولابدّ أن يتجه نحو تحقيق الهدف دون الالتفات إلى لوم الائمين وإعلام المضللين وتآمر المتآمرين : ﴿وإياي فارهبون﴾.

٤١- ﴿وَآمِنُواْ بِمَا أَنزَلْتُ مُصَدِّقاً لِّمَا مَعَكُمْ وَلاَ تَكُونُواْ أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلاَ تَشْتَرُواْ بِآيَاتِي ثَمَناً قَلِيلاً وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ﴾

الرسائل

● الآية تخاطبُ أحبار اليهود، وتذكر أن القرآن جاء مصدّقًا (بشكل إجمالي طبعًا لا كلّي) لما عندهم من التوراة قبل تحريفها.

فقد كانوا من الدعاة إلى انتظار النبي الخاتم، فما لهم اليوم يكونون في طليعة الرافضين له!

● في الآية دعوة إلى قبول ما عند الآخر من حقائق، لكي يقبل الآخر ما عندنا من خطاب: ﴿مصدقًا لما معكم﴾ ، وهذا يعني أيضاً أن وجود التحريف في جزء من التوراة والانجيل لا يعني رفض الأجزاء الأخرى.

● انحراف العلماء يسبب انحراف من يتبعهم: ﴿ولا تكونوا أول كافر به﴾.

● سكوت العلماء وكتمانهم حقائق الدين له خلفية أطماع مادية دنيوية: ﴿ولا تشتروط بآياتي ثمنًا قليلاً﴾

● مهما كان الثمن الذي يناله هؤلاء من متاع الدنيا، فهو قليل ولا تعدل قيمته لحظة من الانحراف: ﴿ثمنًا قليلاً﴾

● تخافون على ذهاب متاع الدنيا من أيديكم بينما يجب أن تخافوا من غضب الله سبحانه: ﴿وإياي فاتقون﴾

٤٢- ﴿وَلاَ تَلْبِسُواْ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُواْ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾

رسائل

● أهم ما يمتاز به الإنسان هو «المعرفة»، والذين يشوّهون هذه المعرفة في فهم البشر ويثيرون أمامه الشبهات المضلّلة، فهم يسلبون من الناس حقّ المعرفة، وهو ظلم ما بعده ظلم.

● إلباس الحق بالباطل خطر ضلّل البشرية على مرّ العصور والى هذا المعنى يشير أمير المؤمنين علي(ع) في نهج البلاغة/ النص٤٩.

● الآية الكريمة تنهى عن الاعتداء على الحق سواء عن طريق إلباسه بالباطل، أو كتمانه.

● هؤلاء المعتدون على الحقّ يعلمون بفطرتهم ووجدانهم أنهم لا يعلنون الحقيقة: ﴿وأنتم تعلمون﴾

٤٣- ﴿ وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ وَارْكَعُواْ مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾

الرسائل:

● الدعوة إلى الإيمان تتبعها الدعوة إلى العمل الصالح:
﴿آمنوا بما أنزلتُ .. أقيموا الصلاة..﴾

● الصلاة والزكاة كانتا أيضًا في ديانة اليهود: ﴿أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة﴾

● الارتباط بالله عن طريق الصلاة، ومساعدة عباد الله عن طريق الزكاة، والانسجام مع الآخرين بالركوع مع الراكعين تشكل مثلثًا مقدسًا في المنظومة الإسلامية.

● الأصل في تشريع الصلاة أن تكون جماعة. فأساس الدين يقوم على الحضور الاجتماعي وعدم الانزواء عن الناس: ﴿واركعوا مع الراكعين﴾

بمناسبة الذكرى التاسعة عشرة لرحيله

الإمام الخميني
في رؤية السيد القائد

العبد الصالح الإمام الخامنئي عاش المشروع الإحيائي للإمام الراحل منذ أول انبثاقه، فقد كان قبل الثورة بين السجن ومنصة الخطابة وحلقات الدرس يعمل بجدٍ ونشاط في إطار هذا المشروع، ثم عاش بعد الثورة بين الرئاسة وجبهات القتال والإمامة يواصل العملية الإحيائية للإمام الراحل. من هنا يمكن القول بأن الرجل أعمق من عاش مشروع الإمام الخميني على الساحة الجهادية والفكرية والقيادية. نقف عند مقتطفات من رؤيته بشأن الإمام الراحل.

❖ ❖ ❖

«ذوبان الإمام في الله سبحانه وشعوره التام بالمسؤولية أمام الله لهما ارتباط إلى حدّ كبير بالهدف العظيم الذي تبنّاه في حياته. همّته الكبرى أدّت به إلى انتخاب الأهداف الكبرى. تصوّر هذه الأهداف الكبرى كان عسيرًا على الناس العاديين. الأفراد العاديون كانوا يرون أن هذه الأهداف التي يُعلنها الإمام محالة. لكنّ ما تحلّى به هذا الرجل الكبير من همّة عالية وإيمان وتوكل

ودأب وكفاءة وقدرات مدهشة كان يدفعه نحو تحقيق أهدافه المرسومة، وأمام دهشة الجميع كانت هذه الأهداف تتحقق.

الخلفية الأساسية لهذا النجاح كان ذوبانه في الإرادة الإلهية والمسؤولية الربانية. لم يكن أمام ناظريه هدف سوى أداء تكليفه الشرعي. كان حقاً مصداق الإيمان والعمل الصالح.

إيمانه كان كثبات الجبال الراسيات، وعمله الصالح اقترن بجُهد لا يعرف كللاً ولا مللاً. كان في صبره وسعيه على مواصلة العمل يحيّر العقول. ومن هذا المنطلق تحققت الأهداف الكبرى وفُتحت القمم العليا».

من خطاب السيد القائد في مراسم مبايعة رئيس الوزراء ومجلس الوزراء(١٩٨٩/٥/٦)

«شخصية قائدنا وإمامنا العظيم لا يمكن مقارنتها حقاً وإنصافاً مع أية شخصية أخرى بعد أنبياء الله وأوليائه المعصومين. كان وديعة الله في أيدينا، وحجّته علينا، ومن دلائل عظمته سبحانه على ظهر البسيطة.

حين يراه الإنسان يؤمن بما كان يتحلّى به عظماء هذا الدين. نحن لا نستطيع أن نستوعب عظمة النبي(ص) وأمير المؤمنين(ع) والإمام الصادق(ع) وبقية أولياء الله. قدرتنا الذهنية أقل من أن تستوعب عظمة هذه الشخصيات. ولكن حين كان يرى الإنسان شخصيةً بعظمة الإمام العزيز وبتلك الأبعاد المتنوعة: قوة إيمان،

وكمال عقل، وحكمة، وفطنة، وصبر، وحلم، واستقامة، وصدق، وصفاء، وزهد، وإعراض عن زخارف الدنيا، وتقوى، وورع، وخشية لله، وعبودية مخلصة لربّ العالمين، حين يرى ذلك متحققًا في شخصية هذا الرجل العظيم، ويرى من جهة أخرى أنه (رضوان الله عليه) كان يرى نفسه ذرة صغيرة أمام أولئك العظام.. عندئذ يستطيع الإنسان أن يفهم مدى عظمة أنبياء الله وأوليائه المعصومين عليهم صلوات الله أجمعين».

من كلمة الإمام القائد في مراسيم مبايعة ثلة من قادة الحرس(١٩٨٩/٥/٧)

«كانت شخصيته من العظمة بحيث يصعب أن نجد له نظيرًا بين العظماء والقادة في التاريخ سوى الأنبياء وأولياء الله المعصومين (عليهم السلام). اجتمعت فيه قوة الإيمان مع العمل الصالح، والإرادة الحديدية مع الهمّة الرفيعة، والشجاعة الأخلاقية مع الحزم والحكمة، وصراحة البيان مع الصدق والاستقامة، والصفاء المعنوي والروحي مع الفطنة والكياسة، والورع والتقوى مع السرعة والحزم، وصلابة القيادة مع الرقّة والعاطفة، وبإيجاز اجتمعت فيه خصال نفيسة ونادرة كثيرة يندر أن تجتمع لقرون وقرون في شخص واحد.

شخصية ذلك العزيز الفريد شخصية بعيدة المنال، ومكانته الإنسانية الرفيعة فوق التصور وأشبه ما تكون بالأساطير. كان للشعب الإيراني قائد وأب ومعلّم ومُراد ومحبوب، وللمستضعفين

عامة والمسلمين خاصة أمل وضّاء، كان عبدًا صالحًا خاضعًا لرب العالمين، وخاشعًا متضرعًا بكّاءً في الأسحار، كان الروح الكبرى لهذا الزمان، والنموذج الكامل للمسلم، والتبلور الأمثل للقائد الإسلامي.

منح الإسلام عزّة، ورفع راية القرآن في العالم، وأنقذ الشعب الإيراني من أسر الأجنبي، وأعطاهم الشعور بالشخصيّة والهويّة والثقة.

رفع صوت الاستقلال والحرية في أرجاء العالم، وأحيى الأمل في قلوب الشعوب المقهورة، وفي عصر تظافرت فيه قوى الهيمنة لإقصاء الدين والمعنوية والقيم الأخلاقية أقام نظامًا على أساس الدين والمعنويات والقيم الأخلاقية، وأرسى دعائم دولة تنتهج سياسة إسلامية.

إنه أدار باقتدار الجمهورية الإسلامية خلال عشرة أعوام عبر عواصف هوجاء وحوادث مصيرية، وحَرَسَ هذه الجمهورية ووجّهها وأوصلها إلى مرحلة مطمئنة. عشر سنوات من قيادته هي لشعبنا ومدرائنا تجربة لا تُنسى وذخيرة ثمينة».

من نداء السيد القائد إلى الشعب الإيراني في ذكرى رحيل الإمام(١٩٨٩/٥/٨)

«الإمام (رضي الله عنه) كان إنسانًا ذا عقل ثَرّ، ونظرة بعيدة، ومتحليًا بالحكمة، والفراسة، والدقّة، والحلم والرزانة والرؤية المستقبلية. وكل واحدة من هذه الصفات تكفي لأن ترفع الإنسان

إلى مرتبة سامية، وأن تفرض احترام حاملها على الجميع. كانت رزانة الإمام وحلمه بصورة بحيث لو اجتمع مائة شخص في مجلس وتكلّموا بما لا يرضيه، لا ينطق ببنت شفة أمامهم إذا لم يَرَ للكلام ضرورة. بينما لو دار حديث أمام إنسان عادي خلافًا لمعتقده، فإن عاصفة تثور في روحه تدفعه لأن يُسرع في الإجابة».

من حديث السيد القائد في مراسيم مبايعة قيادات اللجان الثورية(١٩٨٩/٥/٨)

«خاصية السيطرة على الأهواء والإمساك بزمام المشتهيات في شخصية الإمام العزيز الكبير تستحق أن يكون لها في قلب كل إنسان طاهر واعٍ نقي موقعُ تجليل وتكريم.

فرق بين شخصية يحترمها الناس لمكانتها وموقعها الظاهري، وبين شخصية تفرض احترامها وتكريمها على كل إنسان كبير قوي فطن، لما تتمتع به من خصال سامية.

كان إمامنا العزيز العظيم من هذا النوع الذي يفرض احترامه لما يتمتع به من خصال متنوعة: عقل خصب، وتواضع جم، وفطنة بالغة، وذكاء حاد، وحزم لا يلين، ولين في رأفة وعطف، وتقوى وسيطرة على النفس. لم يكن لأحد قدرة على أن يقلب الحقيقة أمام ناظريه. إرادته حديدية لا يمكن لمانع أن يصدّ حركته.

كان إنسانًا يفيض بالرقة والرحمة، سواء حين يناجي ربّه ويفنى في ذات الله، أو حين يواجه موقفًا يتطلب رأفة وعطفًا.

النزعات النفسية والجواذب المادية والأهواء الهابطة ما كانت تمتدّ إلى قمة تقواه. كان أميرًا على أهوائه ومشتهياته ولم يكن تحت إمرتها. كان صبورًا وقورًا ولم تستطع الحوادث أن تثير زوبعة في بحره العظيم.

أنا غير قادر على وصف الخصال الإنسانية السامية لهذا الرجل الكبير الذي يسطع كالشمس في تاريخ إيران. كنت في خدمة الإمام لسنوات عديدة. منذ سنة ١٣٣٧ هجرية شمسية (١٩٥٨م) إذ تعرفته وحضرت دروسه تلمّست مواقفه المحسوبة في المراحل المختلفة وفي الأزمات المتعاقبة. هذا الرجل الاستثنائي لم يكن أبدًا من نوع الناس في زماننا. حقًا لا أستطيع أن أصف خصال هذا الرجل الكبير وخصائصه».

من خطاب السيد القائد في مراسيم بيعة ممثل الإمام في الجيش، ووزير الدفاع و... (١٩٨٩/٥/٨)

«المسألة الأساس هي أن الإمام، مع ما اتّسم به من خصال قيّمة ممتازة، ما كان من الممكن أن يحقق ما حققه من نجاحات لولا عنصر العبودية والإخلاص. منجزاته العظيمة ما كان بالإمكان

أن تتحقق لولا ارتباطه بربّ العالمين. ارتباط الإمام بالله هو الذي مكّنه من خلق هذه الحركة العظيمة في العالم، لم يكن يصدّه عن ذلك شيء.

واليوم إذ نرى بعد غيابه موجًا من الاعتراف بشخصيته والثناء عليه في جميع أرجاء العالم، فذلك لا يعود فقط إلى حزمه وإرادته وذكائه وشجاعته ونظرته الثاقبة والمستقبلية. هذه الخصال ليس بإمكانها أن تُحدث هذه العاصفة الضخمة. العنصر الأساس ارتباطه بالله والاستعانة به سبحانه.

هذا هو الذي خلّد اسم الإمام في التاريخ».

من خطاب السيد القائد في مبايعة العاملين في جهاد البناء (١٩٨٩/٥/١٠)

قائدنا الكبير العزيز وإمامنا الفقيد كان وجهًا مشرقًا في العالم، ولم يكن حقًا له نظير لا في عصرنا ولا في العصور الماضية. لا أعهد شخصية ـ بعد الأنبياء والأولياء عليهم السلام ـ بهذه العظمة والخصائص الإيجابية والأبعاد الجامعة.

أعتقد اعتقادًا جازمًا أن هذا الرجل الكبير بكل ما امتلكه من خصائص ايجابية مثل: العلم والحزم والذكاء والشجاعة والإرادة ما كان بالإمكان أن يحقق ما حققه من نجاحات لولا إخلاصه وارتباطه بالله ونزاهته من الشرك (أي تجنبه لهواه وأهواء

الآخرين) هذه النجاحات تحققت في عصر كانت كل المؤشرات فيه تحكي انزواء الدين وابتعاده عن العصر وسيادة الأفكار والأخلاق والأساليب المادية وحاكمية الأهواء الشيطانية والبشرية في العالم».

من خطاب السيد القائد في مراسيم مبايعة الفقهاء والحقوقيين في مجلس مراقبة الدستور (١٩٨٩/٥/١١)

«لم يكن الإمام محدودًا بمجموعة من الخصائص المتميّزة التي تشكل شخصيته. لا شك أن الإمام الكبير ذو أبعاد مختلفة، كان إنسانًا بارزًا وممتازًا .. عالمًا كبيرًا، فقيها له مدرسته، فيلسوفًا بارعًا، سياسيًا، مصلحًا اجتماعيًا كبيرًا، ومن الناحية الروحيّة كان صاحب خصال وخصائص ممتازة قلّ لها نظير.. كل هذه الجوانب تجعل من الإمام في أعين معاصريه والأجيال التالية إنسانًا بارزًا، غير أن شخصية الإمام الكبير غير محدود بهذه الخصائص. البُعد الآخر لشخصيته عبارة عن الأصول والمسارات الواضحة التي وضع أسسها في هذا البلد وفي هذه المنطقة وأمام أعين كل شعوب العالم، وأقام على هذه الأسس نظامًا سياسيًا واجتماعيًا وأحيى أملاً كبيرًا في قلوب المستضعفين في العالم والأمة الإسلامية. شخصية الإمام لا تنفصل عن أصوله الأساسية.

والحقيقة أنّ هوية ثورتنا ومبادئها تشكل أيضًا المعالم البارزة لشخصية الإمام أيضًا. كل ما نتحدث به عن الثورة، إنما نتحدث في الواقع عن الإمام».

من كلمة السيد القائد في ذكرى رحيل الامام (٢٠٠٧/٧/٤)

«فنّ إمامنا الكبير كان في إيجاد إطار مستحكم لهذه الثورة يقيها من السقوط في جهاز هضم قوى الهيمنة العالمية. شعار «لا شرقية ولا غربية، جمهورية إسلامية» أو شعار «استقلال، حرية، جمهورية إسلامية» وأمثال هذه الشعارات التي انطلقت من حناجر الجماهير مستلهمة ذلك من الإمام تعني أن هذه الثورة تستند إلى مبادئ ثابتة ومستحكمة لا ترتبط بمبادئ الاشتراكية للمعسكر الشرقي آنذاك، ولا بمبادئ الليبرالية الرأسمالية للمعسكر الغربي. والسبب في المواقف العدائية للشرق والغرب تجاه هذه الثورة يعود إلى هذه الظاهرة».

من كلمة السيد القائد في ذكرى رحيل الإمام (٢٠٠٧/٧/٤)

«الإمام شرح الأصول للشعب وللفئات الواعية قبل انتصار الثورة، ثم أقام الجمهورية الإسلامية على هذه الأصول، والتزم بها بصرامة مدة حياته وجاهد من أجلها. لذلك كانت الجمهورية

الإسلامية ظاهرة جديدة فريدة استطاعت أن تبعث الأمل في قلوب المجتمعات الإسلامية. كل شعوب العالم الإسلامي وخارج العالم الإسلامي أدركت أن هذه الظاهرة ليست تقليدًا لما كانت تسمعه بارتياب من الأنظمة الشرقية والغربية. هذه ظاهرة جديدة تطفح بالحياة وقدرة التحرك الجديد. من هنا فإن قيام الجمهورية الإسلامية قد بعث في الشعوب المسلمة أملاً جديدًا وآفاقًا جديدة للتحرك. ولا يزال مفعول هذه الولادة الإسلامية قائمًا. على الرغم من أبواق الإعلام الاستكباري في أرجاء العالم ضد الجمهورية الإسلامية وما تمجّه من سموم وقذارات لا يزال الأمل الذي بعثته الجمهورية الإسلامية في قلوب المسلمين حيًا، هاهم المثقفون المسلمون والشباب الواعي والأجيال الصاعدة في البلدان الإسلامية يضعون نصب أعينهم هذا المَعْلَم الطافح بالأمل والنور».

من كلمة السيد القائد في ذكرى رحيل الامام (٢٠٠٧/٧/٤)

«دافعوا حيثما كنتم عن إسلامكم ووطنكم، وقاوموا عدوّكم المتمثّل في أمريكا والصهيونية العالمية والقوى الكبرى الشرقية والغربية، ولا تأخذكم في ذلك لومة لائم»

من نداء الامام الخميني إلى حجاج بيت الله الحرام -١٣٩٩هـ

بمناسبة الذكرى التاسعة عشرة لرحيله

التوازن في نهج الإمام الخميني(ره)

من الأحداث المهمة والمؤثرة في عالمنا الإسلامي المعاصر ، انتصار الثورة الإسلامية في إيران، وحصن قاعدة الاستكبار الأمريكي ، والسعي لإقامة حدود الله فيها.

وما كان ليتحقق هذا لولا قيادة رشيدة حازمة وصارمة من جهة، ولطيفة وحميمة من جهة أخرى؛ تعتمد العقل والعاطفة، لصالح الأهداف العليا للأمة الإسلامية، وما يخص الشعب الإيراني منها.

وأهم خصيصة في قيادة هذه الثورة ، المتمثلة في قيادة الإمام الخميني الراحل (رض) هي: التوازن في الأفكار والسلوك انطلاقًا من الأمر الواقع الذي فطر عليه الإنسان ﴿ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾.

❖ ❖ ❖

وفي الحقيقة التوازن صفة إلهية سماوية يتخلق بها الإنسان الحكيم، فكما أن الله تعالى شديد العقاب بالنسبة للمشركين والظالمين والغفور الرحيم بالنسبة لعباده المستضعفين والتائبين: ﴿نَبِّىءْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ، وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ

الأَلِيمَ﴾ فإن الإنسان المسلم يوازن في شخصيته بين الخوف والرجاء.

وإذا كانت الأمنية الكبرى هي الفوز بالجنة والآخرة، فإنها لا تنافي السعي في الدنيا بجانبها الإيجابي الموصل الى الهدف السامي: ﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ﴾.

من هذه الرؤية السماوية كانت انطلاقة الإمام الراحل في مسيرته المتوازنة، الفكرية والفقهية والجهادية... ، ونحن نشير هنا الى نماذج من التوازن العملي والفكري في حركته السامية:

١. التوازن في الجانب الفكري والفقهي:

أ ـ عندما نتتبع آراء الإمام الراحل وأفكاره في إدارة الشؤون الحياتية والاجتماعية نرى بصيرته الجامعة، بين مقتضيات العصر زماناً ومكاناً، والأصالة الإسلامية، فكراً وفقهاً ونهجاً. فإصراره المستمر على إعمال الاجتهاد (بالمصطلح الفقهي) الذي كان يعبر عنه تارة (بالفقه الجواهري) ، وهو يضمن الأصالة، وتأكيده على تغير الأحكام بتبدل الموضوعات والأعراف والآداب ، كما هو الحال في لعبة الشطرنج وبعض الأمور الأخرى يشكل إصراراً على المعاصرة والمعايشة المستمرة للتغيرات والتعقيدات.

ب – الإصرار على تطبيق جميع الأحكام الإسلامية والمرونة

أحيانًا في كيفية تطبيق تلك الأحكام، مع الأخذ بنظر الاعتبار جميع القواعد الأصولية والفقهية المساعدة ، كقاعدة التزاحم، الناشئ من تطبيق بعض الأحكام التي تؤدي الى آثار سلبية تفوق مصلحة التطبيق ، وكذا العمل وفق العناوين الثانوية المستندة الى اختيارات الحاكم الفقيه في دوائر المباحات، مع ملاحظة المصلحة العامة.

جـ – الإيمان بالحكم الإلهي المطلق، من جهة، واحترام آراء الشعب في صياغة او صناعة مسيرته الاجتماعية والسياسية.. في المساحة التي تفتحها الشريعة لذلك من جهة أخرى؛ فتحقيق إرادة الشعب وفق أحكام الشريعة السمحاء أمر نموذجي قدمه الإمام الراحل للعالم الإسلامي، فكانت الجمهورية الإسلامية تبتني على أصلين أساسيين. الولاية الإلهية، وحاكمية الشعب على مقدراته.

د – النشاط الثوري والإصلاحي:

من طبيعة الحركة الثورية ان تكون تغييرية جامعة، متقدمة الى الإمام بدون التقيد بنسق خاص معين، تقلب ماكان وتحدث ما يكون، لكن الذي تحقق هو أن هذه الحركة الثورية تمت وفقاً لأطر منضبطة تسمح وتفسح المجال لعملية الإصلاح الجانبي المثمر، والجامع بين الحركة الثورية والحركة الإصلاحية في نسق منسجم.

هـ – التوازن في السلوك الشخصي.

لقد كان الإمام الراحل من الفقهاء والعرفاء المنقطعين الى الله سبحانه وتعالى، فهو الزاهد في الدنيا، بما فيها من مغريات، ولكنه لم يكن بعيدًا عن الحياة السياسية، والنشاط الاجتماعي الذي أدى الى الإطاحة بنظام طاغوتي عنيد، واقامة جمهورية إسلامية، وإحياء شعب بأكمله بهديه نحو الله، ولقد كان قوياً وشديداً يقف ضد أعداء الإسلام، مهما كان سلطانهم وجبروتهم، لكنه كان متواضعًا عطوفًا امام المستضعفين: ﴿أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ﴾، ويرى أن هؤلاء هم أولياء النعمة للقادة والمسؤولين في البلاد.

إننا اليوم بأمس الحاجة الى مثل هذه الشخصية النموذجية، لنتخذ نهجه نبراساً في حياتنا الفردية والاجتماعية لأداء التكليف الرسالي.

> إن إخوتنا في فلسطين ولبنان يتعرّضون اليوم لاقسى حملات التشويه والإبادة. وتسعى إسرائيل بكل ما أوتيت من قوة أن تبثّ الفُرقة والخلاف بيننا، وعلى كلّ مسلم أن يجهّز نفسه لمواجهة إسرائيل.
>
> وأفريقيا المسلمة هي الأخرى تئن تحت وطأة أمريكا والقوى الأجنبية وإنها لترفَعُ صوتها طالبة النجدة.
>
> من نداء الامام الخميني إلى حجاج بيت الله الحرام ١٣٩٩هـ

بمناسبة الذكرى التاسعة عشرة لرحيله

روح الله الخميني

روح الله بن السيد مصطفى (والسيد تعني هنا أنه من أبناء فاطمة بنت رسول الله) الموسوي (وتعني أنه من أبناء موسى بن جعفر سابع أئمة آل البيت) الخميني (نسبة إلى مدينة خمين على بعد ٣٥٠ كلم جنوب طهران).

ولد في ٢٠ جمادى الآخرة عام ١٣٢٠هـ (٢٤ سبتمبر ١٩٠٢م) من أسرة اشتغلت بطلب العلم والدعوة بين العراق وإيران وشبه القارة الهندية. عرف والده بالدفاع عن حق الفلاحين ومواجهة الخوانين (جمع خان وهو الإقطاعي)، وتعرّض جراء هذه المواقف للقتل في نفس سنة ولادة ابنه روح الله.

تربّى الابن على يد والدته السيدة هاجر، وعمّته السيدة صاحبة، وأتمّ مقدمات دراسة العلوم الدينية في مسقط رأسه خمين ثم انتقل إلى مدينة أراك (٢٩٠ كلم جنوب طهران) وواصل دراسته في حوزتها (والحوزة هي معهد الدراسات الدينية الحرّة). ثمّ انتقل من أراك إلى الحوزة العلمية الكبرى في مدينة قم (١٦٠ كلم جنوب طهران)، وبقي فيها حتى نفاه الشاه منها.

حياته العلمية:

عُرف روح الله بالجدّ والاجتهاد في تلقّي الدروس، فأنهى دراسة مقدّمات علوم اللغة العربية والمنطق والفقه والأصول في خمين وأراك، وواصل دراساته الفقهية والأصولية بمدينة قم على يد كبار الأساتذة وعلى رأسهم زعيم الحوزة العلمية في قم آنذاك الشيخ عبد الكريم الحائري.

ويظهر أن نَهم الشاب روح الله في تلقّي العلوم دفعه إلى أن يتوسّع في دراساته، فدرس الرياضيات والفلك والفلسفة والأخلاق والعرفان على يد كبار المتخصصّين في الحوزة أمثال أبي الحسن الرفيعي القزويني وجواد الملكي التبريزي، ومحمد علي الشاه آبادي.

بلغ درجة الاجتهاد، وتولّى تدريس الخارج (أعلى مستويات التدريس في الحوزة) واشتهر درسه بالجدّ، وكان يحضر حلقته مَنْ فيه روح المثابرة والجدّ والاجتهاد. حتى شاع خبر درس آقا روح الله (وهو الاسم الذي عُرف به في البداية) في كل أنحاء إيران وأقبل عليه المثابرون، ثم أصبح أستاذاً بارزًا في الحوزة العلمية وعُرف باسم آية الله الخميني (آية الله لقب لكبار المجتهدين)، ثم بعد أن تصدى لقيادة الثورة عُرف باسم «الإمام الخميني».

وكان إلى جانب تدريس الفقه وأصول الفقه يعقد للطلاب جلسة في الأخلاق يؤكد فيه على ضرورة التزكية قبل التعليم.

اشتهر ـ إضافة إلى تدريسه الجاد ـ بالتغلّب على ذاتيته، فكان يرفض بشدّة ما يلهث وراءه كثيرون من شهرة ومكانة وزعامة ومرجعيّة، مفضلاً أن يعيش ببساطة مع طلابه، يربّيهم علميًا وأخلاقيًا. وفي ديوان شعره الذي أنشده في مراحل مختلفة من حياته يظهر ميله الشديد إلى التخلّص من كل انشداد دنيوي والنزوع إلى مثل أعلى مطلق.

وحين نفي إلى النجف بالعراق واصل عمله العلمي فدرّس فيها مدّة ١٤ عاماً، وتصدّى في دروس الفقه ـ لأول مرة في تاريخ دراسات الحوزة ـ إلى أصول الحكومة الإسلامية وبلور فيها نظرية «ولاية الفقيه» التي قامت على أساسها الجمهورية الإسلامية الإيرانية فيما بعد. وعُرفت دروس آية الله الخميني في النجف الأشرف بكثرة الطلاب والجدّ في البحث والمناقشة.

لم يكن آية الله الخميني متفرّغاً للتأليف، بل كان يكتب ما يراه ضروريًا في دراساته وتدريسه ودعوته إلى الله وتوجيه الناس في أمور الشريعة، وما تجيده قريحته من شعر عرفاني، ومن أشهر كتبه:

شرح دعاء السحر (في العرفان)، الحاشية على شرح فصوص الحكم (وهي حاشية على شرح القيصري لفصوص الحكم لابن عربي)، وشرح الأربعين حديثًا (في الأخلاق) وسرّ الصلاة، وآداب الصلاة، وكشف الأسرار، والمكاسب المحرّمة (في مجلدين)، وتحرير

الوسيلة (كتاب فتاوى السيد الخميني في مجلدين)، والجهاد الأكبر، وديوان شعر.. وغيرها من الكتب والرسائل التي نشر منها حتى الآن ٤٥ كتابًا ورسالة.

مشروعه الإصلاحي:

يتلخّص المشروع الإصلاحي لآية الله الخميني في المحافظة على الانتماء الإسلامي لإيران وإبقائها في دائرة الحضارة الإسلامية، معتقدًا أن الذي تعرّضت له إيران منذ بداية توغّل النفوذ الغربي يستهدف فصل هذا البلد عن انتمائه إلى دائرة الحضارة الإسلامية، وربطه قوميًا وتاريخيًا وثقافيًا بما قبل الإسلام، وسياسيًا بمصالح القوى المسيطرة.

اتجه تفكيره أولاً إلى تقوية المؤسسة الدينية المسماة «الحوزة العلمية» لأنها تمثّل القاعدة التي يستند إليها الانتماء الحضاري الإسلامي في إيران، ثم دفع هذه القاعدة نحو تبنّي قضايا الجماهير والتصدّي لمشاريع المستعمرين، ثم بعد ذلك قيادة الجماهير نحو إسقاط النظام القائم وإقامة نظام يعيد إيران سياسيًا وثقافيًا واجتماعيًا إلى دائرة الحضارة الإسلامية. وممارسته العملية لتنفيذ المشروع اتسمت بالحكمة والأصالة والانفتاح والواقعية والرؤية العرفانية.

فالحكمة جعلت آية الله الخميني لا يعلن أمرًا ولا يرفع شعارًا

إلاّ حينما تتوفر الظروف المناسبة، ولذلك فإنّه كان يستشعر منذ نعومة أظفاره ضرورة تغيير النظام الحاكم، ولكنّه لم يعلن ذلك خلال السنوات المتمادية من حياة الدارسة والتدريس، بل كان يغلي صدره بهذا الأمر ـ كما يتضح من الكتابات والمذكرات التي نشرت له فيما بعد ـ دون أن يبوح به، حتى إذا توفّرت الظروف المناسبة له في بداية الستينات، أعلن عن نهضته المعروفة.

والأصالة تمثلت في مشروعه بالالتزام الصارم بنصوص التراث الإسلامي من قرآن وسنّة وسيرة وآراء الفقهاء الكبار دون أن يحيد عن ذلك بحجّة ضرورات العصر.

والانفتاح مشهود في مشروعه بالاستفادة من كل التجارب البشرية الناجحة في حقل إدارة المجتمع والدولة والعلاقات الدولية، وفي استيعاب التيارات الفكرية والعلمية في الساحة الداخلية والعالمية المعاصرة.

والواقعيّة تجسّدت في تعامله مع العادات والتقاليد والأعراف السائدة في المجتمع الإيراني بإيجابية، واستثمارها على طريق تحقيق مشروعه، وفي تفهّم المزيج التاريخي الثقافي الحضاري لشعبه بدقّة، والانطلاق منه إلى تحقيق أهدافه.

والرؤية العرفانية تجلّت في مشروعه بعدم الاعتماد فقط على المعادلات والحسابات المادية والرقمية في الأوضاع القائمة، والأخذ بنظر الاعتبار قيمة الإمداد الغيبي في المواجهة بين الحق والباطل.

وهـذا مـا جعلـه يتخـذ مواقـفَ صـعبَ بدايـةً علـى مِـنْ حولَـه أن يفهمها، غير أن حكمتها اتّضحت فيما بعد.

مراحل تنفيذ المشروع

١ -المحافظة على مكانة الحوزة العلمية:

فهـذه الحـوزة . بمـا تخرجـه مـن العلمـاء والـدعاة والكتـاب والبـاحثين في حقـول العلـوم الإسـلامية تشـكل ـ في رأي آيـة الله الخميني ـ قاعدة الانتماء الإسلامي لإيران، ولـذلك اتجهت جهـود القـوى الطامعـة إلى تفتيـت هـذه الحـوزة، وعزلهـا عـن الجمـاهير، وسـلبها مكانتهـا الاجتماعيـة والدينيـة. ومـن الطبيعـي أن تعتمـد هذه القوى على عناصر داخلية، وكان أبرز هذه العناصر رضا شاه والد الشاه الأخير. والواقع أن خطة رضا شاه كانت واسعة تشمل تغيير الخـط العربـي وإزالـة المفـردات العربيـة مـن اللغـة الفارسـية وتغـيير الـزي للرجـال والنسـاء، ومنـع جميـع المظـاهر الدينيـة.. وبالتـالي شد إيـران بـدائرة المصـالح الغربيـة وإزالـة كل الموانـع مـن أمام هيمنة الغرب.

وثـارت الحـوزة العلميـة بوجهـه، لكنـه مـارس تجاهها أشـدّ ألـوان البطش، وأوشـك أن ينهيهـا تمامـاً، لـولا أن حـافظ علـى تماسـكها رجـل عـالم حكـيم هـو الشـيخ عبـدالكريم الحـائري أسـتاذ الخمـيني، فقـد رأى هـذا الرجـل أن حـوزة مدينـة قم تتعـرّض لخطـر

فادح، فترك محل إقامته بمدينة أراك واتجه إلى قم لينقذ الموقف، وفي نفس الوقت أيضًا غادر تلميذه الخميني أراك نحو قم ليساهم في الحفاظ على وجود الحوزة، ونجحت عملية إنقاذ الحوزة من الانهيار، وبقي السيد الخميني يعمل على تنشيط الدراسات الجادة فيها، وعلى تربية طلاب مؤهلين لحمل أعباء المراحل التالية من المشروع.

وبوفاة الشيخ الحائري (١٩٣٧) فقدت الحوزة العلمية عمادها وعميدها، وتعرّضت لهزّة كبيرة، فتحرّك العلماء وتلاميذ الحائري وعلى رأسهم آية الله الخميني لترشيح وجه آخر لزعامة الحوزة، ووقع الاختيار على آية الله محمد حسين البروجردي، ونجحوا في ذلك، وأصبح المرجع البارز الذي حافظ على مسيرة الدراسات العلمية بعمق وحكمة وانفتاح. وتقدّم إليه الخميني باقتراح لإصلاح وضع الحوزة، وهذا الاقتراح . وإن لم يتحقّق . يدلّ على اهتمام الإمام بوضع هذا المعهد العلمي الديني.

وفي الأعوام التالية عصفت بإيران أحداث جسام منها تعرّض البلد إلى احتلال الحلفاء (١٩٤١)، وتنازل رضاخان عن العرش وتتويج ابنه محمد رضا بضغط من القوى الأجنبية، ثم الحركة الوطنية وتأميم النفط، واضطرار محمد رضا بهلوي إلى الخروج من إيران وإعادته بانقلاب عسكري مدعوم من أمريكا، ثم سيطرة أمريكا على مقاليد الحكم في إيران وتغلغل الصهاينة تحت المظلّة

الأمريكية في أجهزة الدولة الحساسة.

كان آية الله يراقب كل هذه الأوضاع بدقّة، لكنه كان يواصل عملية الإعداد للانتفاضة عن طريق صيانة الحركة العلمية والتربوية في الحوزة ونشر الوعي بين الصفوة.

٢ - التحرك السياسي:

في سنة ١٩٦١ توفي السيد البروجردي، وتوفّرت للشاه فرصة كسر شوكة الحوزة، وفي السنة التالية صادقت الحكومة على لائحة المجالس المحلّية، وفيها بنود توفّر الفرصة للبهائيين (حركة مرتبطة بإسرائيل وأمريكا وتتخذ من الخرافات الدينية عقيدة لها) أن يتوغلوا في المراكز الحساسة من النظام. وجد الإمام الخميني الفرصة سانحة لأن يُعلن موقفه الساخط، وبدأ صوته يرتفع بإدانة مثلث: «الشاه» و«إسرائيل» و«أمريكا» وفي سنة ١٩٦٣ طرح الشاه لائحة الإصلاح الزراعي للاستفتاء الشعبي وأسماها «الثورة البيضاء»، وأسماها الإمام في بياناته بالثورة السوداء، معتقداً أنها مشروع لتثبيت نظام الشاه تحت المظلة الأمريكية والإسرائيلية. وأمام موقف الإمام هذا ومعه جلّ العلماء والطلبة قرّر نظام الشاه سحق هذه المعارضة، فأمر بالهجوم على الحوزة، ودخل رجاله في أهم مدارسها المسماة «الفيضية» وقتل عدداً من الطلبة. وبعدها دخل الإمام في مواجهة حادّة مباشرة

صـريحة مــع النظـام، وأصــدر البيانــات وألقــى الخطــب المنـدّدة والمحرّضة، مركّزًا على علاقات الشاه بإسرائيل وأمريكا.

اعتقـل نظـام الشـاه الإمـام الخمـيني وشـاع خـبر الاعتقـال بـين النـاس، فخرجـت الجمـاهير يـوم ٥ حزيـران ١٩٦٣ في انتفاضـة عارمـة واجهـت قمعًـا سـقط علـى إثـره آلاف القتلـى. أطلـق الشـاه سـراح الإمام لتهدئـة الموقـف، لكـن تلـك الانتفاضـة أنـذرت ببدايـة حتميّـة لسقوط نظام الشاه.

في سـنة ١٩٦٤ صـادق نظـام الشـاه بضـغط أمريكـي علـى قـانون «الحصــانة السياســية والدبلوماســية للمــواطنين الأمــريكيين في إيران». مرة أخرى ثـارت ثـائرة الإمـام، وأصـدر البيانـات الـتي تفضـح التدخّل الأمريكي والإسرائيلي في إيران. وعلى أثر ذلـك أقـدم نظـام الشـاه علـى نفـي الإمـام إلى تـركيـا، ظـلّ فيهـا أحـد عشـر شـهرًا، ثـم نُفي إلى العراق وأقام في مدينة النجف الأشرف مدة ١٤ عامًا.

٣ - الإعداد للثورة الشاملة:

أحداث إيران التي تلت نفي الإمام كانت في اتجـاه تصـفية كـل معارضة وتثبيت سلطة الشاه بحماية أمريكية وإسرائيلية ومحاربـة جميع مـا يرمـز إلى ارتبـاط إيـران بـدائرة الحضـارة الإسـلامية، وهـي أحداث ألقت اليأس في نفوس كثير من دعـاة الإصـلاح، لكنّ الإمـام الخمــيني كــان يــرى في هــذه الأوضــاع مؤشـراً لبــدايات انفجــار

مرتقب، لذلك راح يعمل منذ سنة ١٩٦٥ على التنظير العلمي والفقهي للدولة البديلة لنظام الشاه ضمن بحوث «ولاية الفقيه»، وهي بحوث كان يلقيها على طلابه من العلماء والمجتهدين في النجف. وكان يعمل بجد ودأب على فضح مخطّطات أمريكا في إيران. ويلاحظ أن خطاب الإمام خلال هذه الفترة كان يقوم على تحذير الأمة من خطر مثلث: الشاه - أمريكا - إسرائيل.

كانت البيانات المكتوبة والمسجلة على أشرطة الكاسيت تصل من منفى الإمام لتنتشر في كلّ أرجاء إيران عن طريق طلبة الجامعات والحوزات العلمية، ورغم كل أساليب البطش التي مارسها الساواك (الاسم المختصر لمنظمة أمن الشاه) كانت المعارضة الشعبية تتصاعد في النفوس دونما جرأة على الظهور العلني العام، وكانت هذه المعارضة تعرب عن نفسها في الخفاء عن طريق نشر بيانات التنديد وفي العلن أحياناً عن طريق المظاهرات الطلابية الصغيرة، أو إلقاء الخطب المعارضة، مما جعل سجون الشاه ومنافيه تمتلئ بالمعارضين السياسيين.

في سنة ١٩٧٦ وصل الديمقراطيون إلى البيت الأبيض الأمريكي، وكانت سياستهم تقوم على أساس منح شعوب البلدان التابعة لأمريكا شيئاً من الجو السياسي المفتوح كي يحولوا دون انفجار هذه الشعوب ضد أمريكا.

وبعد قراءة دقيقة للأوضاع الجديدة، وضع الإمام خطة تصعيد

الثورة في إيران. واتفق أن توفي السيد مصطفى الخميني نجل الإمام الأكبر سنة ١٩٧٧ فكانت الشرارة التي أشعلت فتيل الثورة. مجالس التأبين التي عقدت في إيران للسيد مصطفى تحوّلت إلى تجمّعات ثائرة واجهت القمع والقتل، وتوالت مجالس التأبين للمقتولين، وسرت في كل المدن الإيرانية موجة عارمة من التحرك الشعبي المضاد لنظام الشاه، والإمام يوجّه بياناته مركزًا على :
١ـ الانضباط التام في التحرك والحذر من أي أعمال تخريبية.
٢ - المواصلة واستغلال الفرصة المتاحة حتى تحقيق النصر النهائي. ٣ - رفض الحلول الوسط والإصرار على إسقاط نظام الشاه. ٤ - اللجوء إلى كل السبل للضغط على نظام الشاه لإسقاطه ومن ذلك المسيرات والإضرابات. ٥ - عدم التصدّي للجيش حتى ولو أطلق الرصاص على المتظاهرين.

واستجاب الشعب لنداءات الإمام، وتوالت عمليات الضغط الشعبي على نظام الشاه، وتحوّلت إيران بأجمعها إلى مسيرات وإضرابات.

في أيلول ١٩٧٨ اضطر الإمام الخميني أن يترك منفاه في النجف، فغادر العراق إلى باريس، وأقام في ضاحية «نوفل لو شاتو» يواصل منها قيادة الثورة، رافضًا كل الوساطات التي حاولت إقناع الإمام بحلّ وسط للوضع القائم في إيران.

في ١٦ كانون الأول ١٩٧٨ هرب الشاه من إيران مع أسرته، وفي

مطلع شباط ١٩٧٩ عاد الإمام الخميني إلى طهران على ظهر طائرة خاصة من باريس واستقبل استقبالاً شعبيًا تاريخيًا. في ٥ شباط عين المهندس بازركان رئيسًا للحكومة المؤقتة، وبدأت معسكرات الجيش تعلن ولاءها للثورة، وفي ١١ شباط أعلن الإمام الخميني عن سقوط نظام الشاه وانتصار الثورة الإسلامية.

٤ - إقامة الدولة:

بعد سقوط نظام الشاه واجهت الإمام الخميني ثلاث مسؤوليات جسام:

١ - إقامة الدولة. ٢ - إرساء قواعد المجتمع المدني.

٣ -المحافظة على المكتسبات.

ففي حقل الدولة دفع الحكومة الموقتة ومجلس قيادة الثورة والجماهير إلى إجراء استفتاء لتعيين نوع النظام، فصوّت ٩٨و٢ من الشعب الإيراني لصالح نظام الجمهورية الإسلامية في الأول من نيسان ١٩٧٩، ثم توالت الانتخابات: انتخاب مجلس تدوين الدستور وإقراره، وانتخاب مجلس الشورى الإسلامي، وانتخاب رئيس الجمهورية، وبذلك وطّد بسرعة مذهلة أسس الدولة الحديثة التي تستمد منهجها من الشريعة الإسلامية.

وعلى الجانب الشعبي شجّع الإمام المساجد لتكون مركز النشاط الجماهيري لإدراة المجتمع. فتأسست فيها اللجان الثورية التي نهضت بأعباء أمنية وسياسية واقتصادية وثقافية، وتأسست

مراكز «جهاد البناء» من الشباب المتخصّصين المتطوّعين لإعمار القرى والأرياف ومساعدة المناطق الفقيرة، وتأسّس الحزب الجمهوري لتعبئة الجماهير في مختلف مجالات متطلبات الثورة والدولة.

ولعلّ قيادة الإمام الخميني برزت أكثر ما برزت في صيانة مكتسبات الثورة. إذ تعرّضت إيران منذ الأيام الأولى لانتصارها إلى تآمر داخلي وإقليمي ودولي واسع النطاق تمثل في إثارة النزاعات القومية والطائفية وفي حصار اقتصادي وفي حرب استمرت ثماني سنوات، وفي عمليات إرهابية فجّرت المؤسسات واغتالت كبار الشخصيات القيادية، وفي مؤامرات عسكرية و.. كان كل واحد منها كاف للقضاء على النظام الفتيّ، لكن قيادة الإمام الخميني المنبثقة من إرادة الجماهير والمتفاعلة مع عواطف الشعب وفكره وعقيدته جعلت إيران تحافظ على تماسكها وتدافع عن سيادتها وتخرج من كل هذه الأزمات بنجاح.

وبقي يواصل قيادة الثورة والدولة باعتباره «الولي الفقيه» حتى حزيران ١٩٨٩م إذ توفاه الله.

من أفكار الإمام الخميني

١. الاعتقاد بشمولية الإسلام واستيعابه لحياة الفرد والجماعة، لتوجيه البشرية نحو الكمال الإنساني المنشود.

٢ - إيمانه بضرورة اتحاد كل الشعوب المقهورة في العالم (المستضعفين) لينالوا حقوقهم التي اغتصبتها القوى المقتدرة الظالمة (المستكبرون).

٣ - تأكيده المستمر على ضرورة وحدة المسلمين ونبذ أي تفرقة طائفية أو قومية أو إقليمية بينهم، فتلك فريضة إلهية، وضرورة يفرضها عليهم واقع التكتلات الدولية والتحديات التي تواجههم وعلى رأسها التهديد الصهيوني.

٤ - ضرورة إخلاص العمل لله وحده دون سواه على المستوى الفردي والاجتماعي، عندئذ لا يعتري المسيرة تزلزل ولا يشوبها خوف أو تراجع ولا تُمنى بهزيمة قط.

٥ - ضرورة اهتمام القيادة والمسؤولين بمصالح الناس وصيانتهم عزّة الأفراد، لأن هدف الأديان هو إنقاذ البشر من كل ما يهين كرامتهم.

٦ - إيمانه بالمنهج العرفاني الجهادي الذي يؤكد على مراقبة النفس والتخلّص من الذاتيات والأنانيات ليتحوّل الإنسان إلى عطاء مستمر في ساحات هدم الباطل وإقامة معايير الحق والعدل.

٧ - ضرورة دخول المرأة ساحة العمل الاجتماعي والسياسي والاقتصادي والثقافي مع المحافظة على أصالتها، والتأكيد على أهمية المرأة في نشأة المجتمع الصالح.

بعد عمر ناهز التسعين توفي الإمام الخميني، ولم يترك من

الثـروة والمـال سـوى: نظـارات، وقراظـة أظـافر، ومشـط، ومسـبحة، ومصحف، وسجادة صلاة، وعمامة، وثيابه الخاصة، وبضع كتب في العلوم الدينية.. لا غير.

خطابه الوحدوي

الحديث عن دور الإمام الخميني (رض) في التقريب بين المذاهب الإسلامية وفي وحدة الصفّ الإسلامي يبقى قاصرًا أمام مشروعه الحضاري الكبير الذي قدّمه عمليًا للعالم الإسلامي متمثلاً بإقامة دولة إسلاميّة في بلاد أريد لها أن تكون قاعدة للتآمر على تطلعات الأمة الإسلامية نحو استعادة الهويّة والعزّة والكرامة. لا ينكر أحد أنّ الثورة الإسلامية في إيران اندلعت في فترة من إحباط عاشها العالم الإسلامي بعد سلسلة من الهزائم والنكسات فبعثت فيه روحًا جديدة، وأحيت بانتصارها أمل الشعوب المسلمة المقهورة في عودة أصيلة ومعاصرة إلى الحياة الإسلامية.

هذا الإنجاز كان من الضخامة والعظمة بحيث تجاوز كل الحواجز الطائفية والقومية والاقليمية، بل إنه تجاوز حتى الإطار الإسلامي ليدفع بالشعوب المستضعفة في أفريقيا وأمريكا اللاتينية إلى التطلّع نحو استعادة حقوقهم المغتصبة.

لكن ضخامة الحدث واجهت ضخامة في عملية التطويق والمحاصرة والتشويه والتعتيم.

لقـد واجهـت حربًـا طائفيـة جُنّـدت لهـا أضـخم الطاقـات الإعلامية، وواجهت حربًا قوميّة باسم «القادسية»!! لصدّ «الفرس المجوس»!!.. ومع كل ذلك فإن خطاب الإمام الخميني وقيادته للأمـة لم تتـأثر أبـدًا بهـذه الحـروب الظالمـة، فقـد وجّـه أفكـار الإيرانيين نحو حقيقة هامة هي إن هذه الحروب ليست طائفيـة ولا قومية، أي ليست حرب سنة ضد شيعة، ولا حـرب عـرب ضد فـرس، بل هي حرب تقودها أمريكا وإسرائيل لمواجهة الصحوة الإسلامية، ونجح في ذلك أيّما نجاح، مفوّتاً الفرصة على من أرادها أن تخلق العداء المذهبي والقومي في إيران تجاه أبناء الأمة الإسلامية.

على المسلمين الاهتمـام بقـوة الإسـلام الـتي جعلـت شعبنا يتغلب بيد خالية على حكومة غاصبة عاتية وعلى القوى العظمى في العـالم. لماذا غفـل المسلمون عـن هـذه القوة، ولماذا غفلت الحكومات الإسلامية عن هذه القوة؟ ولماذا تتحمل الحكومات العربيـة الصفعات من الصهاينة طـوال السـنين الماضـية؟ لمـاذا تهـيمن عليهـا القـوى الأجنبية؟ لماذا لا يتّحدون؟ لماذا لا يطبقون آيات القرآن الكريم؟ لماذا لا يعتنون بالاحاديث النبوية الشريفة التي جاء فيها: (المسلمون يد واحدة على من سواهم)...

من حديث الامام الخمينى بمناسبة عيدالاضحى المبارك ١٤٠٠هـ

بمناسبة الذكرى التاسعة عشرة لرحيله

حوافز في خطاب الإمام الخميني تجاه القضية الفلسطينية

من خصائص خطاب الإمام الراحل تأثيره البالغ على عواطف الأمة ومشاعرها وأفكارها، ولم يكن هذا التأثير محدوداً بفئة دون فئة، بل شمل كل الفئات، ابتداءاً من أساتذة الجامعة وحتى المزارعين في القرى والأرياف، ويعود ذلك إلى أنه ركز على محفزات ترتبط بفطرة الإنسان عامة، وبالموروث التاريخي والثقافي. للإيرانيين وهذه وقفة عند بعض هذه الحوافز في خطابه تجاه القضية الفلسطينية:

الدفاع عن المقدسات

القدس حاضرة في كل أدبيات الثورة الإسلامية بشأن فلسطين وفي فنونها وإعلامها. فبيت المقدس والأقصى يرمزان إلى المقدس في القضية الفلسطينية، والمقدس بما له من بعد غيبي لا متناه يشدّ الفرد والجماعة البشرية نحوه إيمانياً، ويزوّد المسيرة بعطاء متواصل، ويدفع إلى التضحية من أجل الحفاظ عليه.

حتى النظم الوضعية تحتاج إلى قدسية تجسّدها في العَلَم وفي الدستور وفي تراب الوطن من أجل شدّ الجماهير بالنظام.

والمقدس في القضية الفلسطينية يستوعب كل ذرة من تراب هذا الوطن الإسلامي، لكنه يضمّ أيضاً رموزاً تشكل عامل شد وتحريك لكل المسلمين، إلى جانب ما فيها من رموز مقدسة يشترك فيها المسيحيون والمسلمون.

والمقدس يمكن أن يكون وسيلة لقياس ما في الأمة من حياة ويستطيع العدوّ من خلاله أن يجسّ النبض ويعرف مستوى الحيوية. من هنا فإن احتلال الصهاينة للقدس وتدنيسها بأقدام القتلة كان يستهدف الإعلان عن انتهاء هذه الأمة.

لكن ردود الفعل المناسبة وخاصة انتفاضة الأقصى بدّدت آماله، ولهذا رأى الشارع الإيراني في انتفاضة الأقصى أنها إعلان عن وجوده هو، ودفاع عن كرامته هو، وهذا التفاعل مع الانتفاضة في إطار الدفاع عن المقدس من أهم رموز حضور القضية الفلسطينية في الشارع الإيراني.

المشاركة الجماهيرية العامة في يوم القدس (آخر جمعة من شهر رمضان المبارك)، لها دلالاتها الكبيرة على أنّ الإمام انطلق من مقدَّسَين (رمضان والقدس) ليكونا من حوافز خطابه.

في مسابقة «طريق القدس» التي أجراها مركز الدراسات الفلسطينية ولجنة الدفاع عن الثورة الإسلامية الفلسطينية

بطهـران ﻓﻲ موضـوع رسـوم الأطفـال تقـدم ١٣٤٢٢ متسـابقاً مـن تلاميذ الابتدائية والتوجيهية والثانوية الإيرانيين، وقدّموا لوحات رسوم ترتبط بانتفاضة الشعب الفلسطيني، وقلّما نجد لوحة تخلو من صورة بيت المقدس ببنائه المضلع وقبته، مما يدلّ على عمق المقدس الفلسطيني ﻓﻲ وجدان الشارع الإيراني.

كما أن رسـوم الفنـانين الإيـرانيين والأناشـيد الفلسـطينية الإيرانيـة قلّمـا تخلـو مـن القـدس وبيـت المقـدس وقبـة الصـخرة والأقصى، وكلنا نتذكر عمليات «طريق القدس» ﻓﻲ ردّ العدوان على الجمهوريـة الإسـلامية ومـا حققتـه باسـم هـذا المقـدس مـن انتصار. وهكذا انشداد الإيرانيين بمسلسل «طريق القدس» يحكي عن التعاطف النفسي مع الأمير العربي الحمداني ﻓﻲ الدفاع عن المقدسـات، ووجـود «سـاحة القـدس» و«شـارع القـدس» إلى جانـب «سـاحة فلسـطين» و«شـارع فلسـطين» ﻓﻲ طهـران والمـدن الإيرانيـة الأخـرى، تـنمّ عـن رمـوز القدسـية ﻓﻲ قضـية فلسـطين لـدى المجتمـع الإيراني.

مظلومية الشعب الفلسطيني

أظـنّ أن أدبيـات الثـورة الإسـلامية ووسـائل إعلامهـا تنفـرد ﻓﻲ إطـلاق صـفة «المظلوميـة» علـى الشـعب الفلسـطيني والانتفاضـة الفلسطينية، فهذه الصفة قد تكون سلبية ﻓﻲ كثير من الأذهان،

لكن الذهنية الإيرانية الإسلامية يتداعى لها «مظلومية» كل أصحاب الحقّ في التاريخ، وخاصة في التاريخ الثوري الإسلامي وفي قمته تاريخ واقعة كربلاء. والمظلوم وفق هذه الذهنية ليس المقهور والمهزوم، بل هو طالب الحق الذي قَلّ عدده وعدّته، لكنه يأبى الذلّ ويرضى أن يتعرّض لألوان الظلم دون أن يتنازل عن حقّه.

يظهر من العمق النفسي الإيراني أنه تعرض على مرّ التاريخ القديم لألوان الظلم من السلالات الحاكمة التي كانت تسخّر الشعب لأهوائها وفتوحاتها، ولعلّ هذا هو العامل الذي جعل الإيرانيين يحتضنون بضعة آلاف من المسلمين في الفتح الإسلامي ويساعدونهم على تسخير إيران رغم كل ما كان لكسرى من قدرة عسكرية تنافس قدرة الروم. ولعلّ هذا أيضاً هو العامل الذي حال دون أن يستطيع المسلمون فتح بلاد الديلم في القرن الأول والثاني، لأن الديلم كانوا لا يفرقون بين هؤلاء الفاتحين الجدد وبين المقاتلين من أجل الهيمنة والنفوذ، لذلك ظلوا على دينهم حتى جاءهم «المظلومون» من العلويين الفارين من السلطة العباسية، فاحتضنونهم، ودانوا بدينهم ومذهبهم ، ثم انتصروا لهم بعد أن أسسوا الدولة البويهية في إيران والعراق.

الإمام الخميني انطلق من هذه الخلفية النفسية للإيرانيين حين استثارهم في مسألة «الفيضية». فقد أضرم النار في الشارع الإيراني حين تحدث بصوت باك عن مظلومية طلبة المدرسة

الفيضية.. كما أنّ صورة «المظلومية» التي أحيط بها بعد أن أجبر على مغادرة النجف، فظلّ حائراً حتى ألقته المصادفات في باريس، هذه الصورة كانت المسمار الأخير الذي دقّ نعش الشاه وأقامت إيران ولم تقعدها إلاّ بعودة الإمام من منفاه إلى أرض الوطن.

وحين تصاعد التآمر الداخلي في بداية الثورة ضد الخط الإسلامي الملتزم ومن رموز هذا الخط الشهيد الدكتور بهشتي، تحدّث الإمام في اليوم التالي لانفجار الحزب الجمهوري الإسلامي بلغة قلبت المعادلة تماماً لصالح الخط الإسلامي. وما كانت هذه اللغة سوى «مظلومية» الشهيد بهشتي.

والمظلوم بسبب هذه الخلفية النفسية التاريخية محبّب إلى نفوس الإيرانيين، وإن كان محبباً لدى كل الذين يقفون في صفّ المظلومين لمقارعة الظالمين، لكنه لدى الإيرانيين يرتبط أيضاً بكل من يقدسونهم في التاريخ من أمثال علي وفاطمة والحسن والحسين وزينب وأبي ذر وياسر وسميّة وعمّار وغيرهم من الصحابة والتابعين.

الرسوم والأفلام والمسلسلات الإيرانية حول فلسطين تحكي عن شعب وادع هادئ يتعرّض للإرهاب والوحشية، وتتحدث عن مقتل الأطفال والنساء والشيوخ. وتتحدث عن أرض سليبة وعوائل مهجّرة ومخيمات مبثوثة، وعن مجازر تعرّض لها المشردون في

المخيمات، وكلها تلتقي مع الوجدان الإيراني المتعاطف مع المظلوم، وتبقي القضية حيّة في النفوس وفي يوميات الإنسان الإيراني.

حتمية انتصار المستضعفين

هذه سُنّة قرّرها القرآن الكريم، لكنها في الوجدان الشعبي الإيراني عميقة الجذور، ترتبط بما واجهه على مرّ التاريخ من مرارة لم ينهزم أمامها لإيمانه بأن «بايان شب سيه سفيدي است» = نهاية الليل القاتم الصباح الأبلج. وهذا الإيمان المتجذّر التقى مع فكرة المهدي المنتظر عليه السلام، فأصبحت قضية المهدي تعيش جنباً إلى جنب مع قضية كربلاء في وجدان الإنسان الإيراني.

مرّت على الإيرانيين طوال التاريخ ظروف ترغم كل شعب على اليأس والقنوط والاستسلام، لكنه التفّ على هذه الظروف وحوّلها لصالحه. وفي العصر الحديث مرّ بتجارب كثيرة رسخت هذا الإيمان في أعماقه. من ذلك الانتصار الإسلامي الذي تحقق في أرض الهيمنة الأمريكية والصهيونية، ومن ذلك نجاح المقاومة في صدّ حرب عالمية ضد إيران استمرت ثماني سنوات. ومن ذلك نجاح التصدي للمقاطعة الاقتصادية والإرهاب والمحاصرة السياسية.

من هنا لا يمكن أن تسود في الشارع الإيراني يوماً فكرة انتهاء القضية الفلسطينية حتى في أحلك ظروف استسلام القيادات أو البطش الصهيوني، بل يرى أن نهاية النصر قد اقتربت كلما ادلهمت الخطوب وتفاقمت الأوضاع.

وعبارة: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً﴾ (الاسراء:٨١) تحتل مساحة واسعة في الأدبيات والإعلام والشعار وفي رسوم الأطفال، معبرةً عن حتمية انتصار الحق على الباطل. ومن المسلمات التي لا ترديد فيها أن الشعب الفلسطيني قد حُرِم من حقّه في أرضه وفي عودته ومن سائر حقوقه بوطنه. ولا يمكن أن يفرض الواقع نفسه مهما طال الزمن في تغييب فكرة «الحق» لدى الإنسان الإيراني، فالحق مقدس عنده، الحق هو الله في الأدب الفارسي وفي الخطاب اليومي الإيراني، والحق ارتبط بشخصية علي في مواجهة الباطل، لذلك فإن عبارة «حق با علي» = الحق مع علي، من التعبير الشائع في الشارع الإيراني، وقد يكون مستلهماً من الحديث الشريف: «علي مع الحق والحق مع علي».

فالحق مقدّس والمدافعون عن الحق منتصرون لا محالة، مهما قلّ الناصر، وعبارة: «الدم منتصر على السيف» = «خون بر شمشير بيروز است» جاءت من الإمام لتنسجم مع نبض الشارع الإيراني، فتحولت إلى شعار للثورة، ثم إلى شعار للقضية الفلسطينية. ثم إن ثورة الحجارة تندرج في سياق القدرة الفائقة

للحجر على ردّ كيد المعتدين، وعلى مفعوله المعجز في الانتصار على الدبابة كما يُرى في رسوم الإيرانيين ومسرحياتهم عن الانتفاضة.

والفجر الذي يظهر في كثير من الأعمال الفنية الإيرانية بشأن فلسطين، والحصان الأبيض الذي يُرى في بعضها الآخر يدلّ على الأمل في المستقبل وحتمية انتصار الحقّ في النهاية.

عالمية الخطر الصهيوني الأمريكي

النظرة الشعبية لإسرائيل أنها جزء من ظاهرة عالمية تريد أن تسيطر على مقدرات العالم، وهذه النظرة تنطلق من معاناة الإيرانيين من الصهيونية في زمن الشاه، وسيطرة الصهاينة وأمريكا على مقدّرات إيران. من هنا فإن الخلاف مع الصهاينة ليس على هذا الجزء أو ذاك الجزء من أرض فلسطين ولا أيضاً على أرض فلسطين بأجمعها، بل الخلاف على المخطط الصهيوني للاستعلاء على كل العالم وجرّ البشرية إلى حالة من الانحدار بحيث يمكن السيطرة عليها.

ولهذا فإن الشارع الإيراني رفض كلّ ما يسمى بمحادثات السلام جملة وتفصيلاً، وخطابه هو الخطاب الوحيد الذي يعلن أن حلّ مسألة فلسطين يكمن فقط بتحريرها من براثن الصهيونية.

ولـذلك لا تجـد الفئـة الـتي تعتقـد بانفصـال القضـية الفلسـطينية عـن المصـالح الوطنيـة الإيرانيـة، أو الـتي تـدعو إلى موقـف إيرانـي يبعـد عـن إيـران خطـر هجـوم إسـرائيلي صـدى في الشارع الإيراني، بسبب هذا الفهم لطبيعة الصهيونية.

والملفت للنظر في موقف الشارع الإيراني من أمريكا أنه ينفرد في المجموعـة الإسـلامية بعـدم انجـراف فئاتـه الإسـلامية منـذ الخمسينيات مع المشروع الأمريكي الذي استهدف تعبئة المشاعر الدينيـة لمواجهـة الخطـر الشـيوعي. كـل الفصـائل الإسـلامية في إيران كانت ترفض ما يسمى بالإسلام الأمريكي الذي لا يقبل إلاّ إسـلاماً يكـافح الشـيوعية دون أن يصـطدم بالأطمـاع الأمريكيـة والغربية. النظرة لأمريكا أنها وراء تثبيت نظام الشاه ووراء الغزو الصـهيوني للمنطقـة، ووراء محاولـة إغـراق الشـباب في المفاسـد والموبقات، من هنا كانت المجابهة الشعبية تتجه إلى مثلث أمريكا – الصهيونية – الشاه.

ولقـد شـهدت السـاحة فيمـا بعـد أحـداث انقـلاب أمريكـا علـى حلفائهـا القـدماء مـن التيـارات الإسـلامية بعـد أن اسـتنفدت أغراضـها مـنهم، ثـم شـهدت الوقـوف الأمريكـي الصـارخ في دعـم إسرائيل حتى في أشد ظروف بطشها وإرهابها.

عبـارة«الشـيطان الأكـبر» أدخلـها الإمـام الخمـيني (رض) في أدبيـات الثـورة الإسـلامية وإعلامهـا حتـى أصـبحت الكلمـة مرادفـة لأمريكا على الصعيد العالمي أيضاً.

بمناسبة الذكرى التاسعة عشرة لرحيله

فكر الإمام الخميني العرفاني

حداثة وتجديد

فاطمة الطباطبائي *

الإمام الخميني أعطى للعرفان مفهوماً جديداً قائماً على أساس القرآن والسنّة. فهو جمع بين العرفان النظري والعملي، وجسّد ذلك في سلوكه، فكانت حياته منظومة مؤلفة من القيادة السياسية والاجتهاد الفقهي والارتباط الدائم بالله سبحانه. والأساس الإيماني لهذه المنظومة هو: «لا حول ولا قوة إلا بالله». والإمام يرى أن نظام الكون مبني على العشق، ويتحقق الخلق بالحب وعودة الموجودات إلى الوحدة بالعشق والمحبة. فكر الإمام كان منشداً إلى المستقبل وطموحه كان يتجه إلى إقامة نظام سياسي عالمي قائم على أساس الأخلاق والعشق.

يعتبر موضوع الحداثة والتجديد لدى المنظرين أحد المواضيع الهامة المطروحة في مختلف المجالات العلمية. وهذا التجديد

---

* - أستاذة جامعية، وزوج الفقيد السيد أحمد الخميني.

الذي يعني الخلق والإبداع يتضمن طرح الأفكار الجديدة أو استخدام الآراء والنظريات القائمة بشكل مبتكر.

إن التوصل إلى أفكار جديدة وتطبيقها على شتى نواحي الحياة الاجتماعية والثقافية والسياسية والاقتصادية لتحقيق السعادة وراحة البال للبشرية جمعاء يحظى باهتمام خاص لدى المفكرين. وتكتسب دراسة آراء الإمام الخميني(رض) وأفكاره باعتباره مفكراً معاصراً ومنظراً مجدداً في الأبعاد السياسية والاجتماعية أهمية خاصة في عصرنا الراهن. ولا نريد هنا أن نستعرض إبداعاته التخصصية في الفقه والأصول والفلسفة والعرفان. بل أحلل هنا بشكل عام مستويين من شخصيته الفذة .

في القسم الأول سوف أتطرق إلى النمط الجديد من شخصية العالم الديني الذي قدمه الإمام إلى الحوزات الدينية التقليدية، بينما سأشير في القسم الثاني في جزئين إلى توجهه السياسي والمعنوي وطبيعته القدسية.

أ: العالم الديني السياسي

بعد استيلاء النظام البهلوي على السلطة في إيران توالت أحداث أدت إلى عزلة علماء الدين، وابتعادهم عن المجتمع حفاظاً على الحد الأدنى للبقاء، وقد تطورت هذه الحالة تدريجياً لتصبح شيئاً مألوفاً وعادياً، بحيث لم يعد ممكنا للعالم الديني أن يصبح

من رجال السياسة، واذا صار كذلك أحياناً فإنه يفقد حينذاك صفته كعالم ديني. طبعاً لم يكن هذا نهاية الأمر، بل إن البعض كان يرى أن انتهاج السلوك العرفاني وتهذيب الأخلاق يتعارض مع الخوض في الشؤون الدنيوية.

وعي رجال الدين الذاتي حيال دورهم في المجتمع وما يتوقعه الناس منهم خلق مع الأسف تصوراً مقبولاً لدى عامة الناس بأن رجل الدين غير سياسي، لذلك كانت السياسة ورجال الدين على طرفي نقيض بشكل ملحوظ. ولكن حضور الإمام في هذين المجالين بالذات وفي آن واحد باعتباره مَعْلَماً للأخلاق وفقيهاً عارفاً وسياسياً بارعاً اخترق الأجواء القائمة والمهيمنة على الحوزة العلمية، وقد كان لهذا الاختراق تداعيات ورفض وقبول، فالبعض من الرعيل الأول من رجالات الحوزة كانوا يعارضون هذا النهج، وكانت مواقف وتصريحات الإمام التي أدت إلى سجنه ونفيه لا تجد وقعاً حسناً لديهم، إذ اعتبروها أمراً لا يتناسب مع شأن المرجعية، ولكن الجيل الجديد واكب الإمام في خطواته الجريئة (البعض من هؤلاء أصبحوا من السياسيين المرموقين في الساحة الايرانية اليوم).

استطاعت هذه الرؤية أن تهدم جداراً سميكاً كان قائماً على تفكيك الدنيا عن الآخرة والسياسة عن الدين.

لم يبادر الإمام إلى هذا التجديد بناءً على خصاله الفردية

والنفسية الناجمة عن طباعة ونزعته الشخصية بل إنه بنى ذلك على أسس نظرية ومعرفية تبلورت من سلوكه العرفاني. وقد أثبت حضور الإمام عملياً بأنه معلّم الأخلاق والفقيه والأصولي والعارف الذي بإمكانه أن يلج عالم السياسة، وأن يخوض في الشؤون السياسية محافظاً في الوقت نفسه على الشؤون الفقهية والمرجعية الدينية وسنشير في الجزء الأول من القسم الثاني إلى هذا الأمر.

ب: معتقداته النظرية الرئيسة

ـ السياسة المعنوية

إدخال المعنويات في مجال السياسة يعتبر من جملة تنظيرات الإمام التي سميتها السياسة المعنوية، ولإيضاح الصورة أرى من الضروري تقديم تعريف عن العرفان والإنسان.

تعريف العرفان:

العرفان، أحد أقسام المعرفة البشرية الذي يتناول معرفة الحق بواسطة الأسماء والصفات الإلهية (العرفان النظري) ويعرض سبل الوصول إلى الحقيقة في الاتجاهين السلبي والإيجابي (العرفان العملي) وهكذا يتخلّق العارف بالخلق الإلهي بعد إزالة الشوائب والرذائل الأخلاقية ويصل إلى مقام «الوحدة» أو

التوحيد، وهو آخر منزل من منازل السالكين.

وفي هذا الرؤية ينطلق العارف ويمضي قدماً لكي يتخلص في الخطوة الأولى من الأنانية والأهواء النفسية (التطهر أو التخلية) ثم في الخطوة الثانية يتحلى بالصفات والكمالات الإلهية (التجمل أو التحلية). ومن خلال هذا التعريف – والذي يتبناه الإمام أيضاً – يتضح أن العرفان النظري والعملي في فكر الإمام لا يقبل التجزئة، إذ يتبنى الإمام العمل القائم على العقل والفكر والوعي، وكذا يتبنى الرأي والفكر الذي يؤدي إلى العمل والتطبيق. لذلك يوصي الإمام بطلب العلم ويرى من الضروري تطبيق ما يتعلّمه المرء طوال حياته ويصرّح بأن السلوك العلمي ينبغي أن يكون مقدمة للسلوك العملي.

وهكذا فإن ماكان يؤمن به الإمام، باعتباره رجل سياسة وعالماً دينياً ومفكراً، تجسّد فكره في أعماله وسلوكه ، فقد كان يؤمن في الجانب النظري بحقيقة أن «لا مؤثر في الوجود إلا الله» أو «لا حول ولا قوة الا بالله». وقد تجلت هذه المعرفة الراسخة في حياته بحيث أنه لم يكن يخشى أية قوة، ولذلك كان يوصي أتباعه أن لا يتكلوا إلا على القادر الأزلي.

تعريف الإنسان:

يُعدّ الإنسان في منظومة الإمام الفكرية مخلوقاً كريماً

وصاحب مُثُل واختيار، وبما أنه خليفة الله ومظهر أسمائه وصفاته عليه أن يجسد كمالاته الكامنة في وجوده بحيث يستعين باسم الخالق ليجمّل باطنه كظاهره على شكل إنسان. لأن تحقيق إنسانيته مرهون بخلقه، ومن أجل تحقيق هذا الهدف يحتاج الإنسان إلى نموذج تتكفل الشريعة بتعريفه. هذا النموذج في الفكر الإسلامي العرفاني هو الإنسان الكامل.

إن موضوع الإنسان الكامل من المواضيع والقضايا الرئيسة في العرفان النظري، فالإنسان الكامل حسب هذه الرؤية ليس مخلوقاً مجرداً أو مثالاً من مُثُل أفلاطون. بل إنه مخلوق واقعي وحقيقي ونموذج كامل لبناء الذات وتوعية الآخرين وتوجيههم نحو السير والسلوك والسفر المعنوي والتكاملي.

والإنسان من هذه الزاوية ينال المعرفة الربانية ويتبوأ الباري عزوجل قلبه وفي الحديث القدسي: «لا تسعني أرضي ولا سمائي بل يسعني قلب عبدي المؤمن» وفي القرآن الكريم: ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ﴾ لذلك يستأنس سكان هذه الأرض بعضهم بالبعض الآخر. ويسجدون في حضرة الباري ويؤمنون بالله واليوم الآخر: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾.

وبعد هذه المقدمة ندرك بأن كمال الإنسان ليس مجرداً ولا فردياً، فليس مفهوم الإنسان هو الذي يتكامل بل الإنسان الموجود

المتجسد والمركب من الروح والجسد هو الذي يتكامل ويسمو، وهذا النمو والكمال يحدث في المجتمع بالذات وليس خارج المجتمع.

من الطبيعي على ضوء هذا الاستنباط عن «الإنسان» و«العالم» أن تتولد معرفة سياسية خاصة، فإذا تقرر أن يكون هذا الإنسان المتجسد هو موضوع الكمال وأن ينمو في المجتمع أيضاً، فينبغي أن تكون أرضية المجتمع مؤهلة وممهدة لهذا الكمال، وهذا الأمر بالذات يجعل من الضروري أن تلج المعنويات إلى السياسة، بينما تفترض الحداثة فصل هذا الوجه المتجدد للسياسة عن الشؤون المعنوية. وهكذا فإن التوجه نحو إدخال الشؤون المعنوية إلى السياسة يتجذر في نظرة الإمام العرفانية إلى عالم الطبيعة (ظاهر العالم = الدنيا) وعالم المعنى (باطن العالم = الآخرة) فيصبح دخول الأخلاق بمعناها العام إلى إدارة المجتمع والشأن الحكومي في عصرنا الراهن أهم تجديد قام به الإمام الخميني في مجال المجتمع الإنساني، بحيث تكون صورة الحكومة من وجهة نظر الإمام بدون مقومات أخلاقية أمراً محالاً.

إن جميع المدارس البشرية والايديولوجيات التي تدعو إلى خلاص الإنسان من البؤس والعذاب، والأخذ بيده نحو السعادة والمجتمع المثالي تزعم بأنها تدعو إلى توجيه الإنسان نحو مجتمع تتوفر فيه سعادة الإنسان الشاملة، وبالرغم من هذا الهدف المشترك فإننا نواجه بعض الفوارق والاختلافات بين هذه المدارس

ينجم عن رؤيتها «للإنسان» ودوره في «الجماعة» وتكوين المجتمع، ومن نافلة القول أن المجتمع المكوّن من أناس خاضعين لجبر الزمن والتاريخ يختلف عن مجتمع يكون الإنسان فيه مختاراً ومفكراً ذا شعور وإحساس ووعي.

من وجهة نظر الإمام الخميني الدنيا والآخرة، الجسم والروح، السعادة الدنيوية والأبدية مترابطة لا يمكن تجزئتها وأن البشر هم عشاق الكمال والخير المطلق بالفطرة.

في إدارة المجتمع الإسلامي، أي المجتمع الذي يتجه إلى تنمية الشرف والحرية والشعور والإرادة لدى أفراده تنهض الأخلاق بدور أساسي، وأصحاب القرار إلى جانب إدارتهم للمجتمع يتكفلون هداية هؤلاء الأفراد، ومن البدهي أن أمر الهداية في مدرسة تعتبر الإنسان خليفة الله وتحترم جميع الكائنات والموجودات باعتبارها دليلا وآية تسبح بحمد الله لن يؤدي إلى الاستبداد واستيلاء الفرد أو المجموعة على الجماعة.

إن ميزة فكر الإمام بخصوص التمحور حول الاخلاق يمكن ملاحظتها إبان توليه الحكم، ولا سيما خلال فترة الحرب المفروضة، إذ لم يكن يضحي بالقيم الأخلاقية لنيل الأهداف السياسية للحرب، على سبيل المثال لا الحصر إبان القصف الكيمياوي لم يوافق أبداً على الرد بالمثل أو بقطع الاتصال

والإمدادات عن جيوش العدو وتدمير قواته أو هدم الجسور، خشية تعرض المدنيين للأضرار، وهناك العشرات من هذه الأمثلة تبرهن على أن الإمام يهتم بمكارم الأخلاق وأصالتها، ولم يضحّ بها من أجل مصالح أخرى .

قدسية الطبيعة

ربطُ عالم المادة بالمعنى أو الروح بالجسم من أكثر البحوث تعقيداً في الفلسفة ولا أريد خوضه، وأكتفي بذكر جملة للإمام تعكس رأيه في أقصر وأبلغ شكل ممكن، وهي أن «العالم مسجد الربوبية» . أشير للتوضيح بأن الإمام يعرّف نظام الكون باعتباره ساحة يتجلّى فيها الباري تعالى، وأن أساس الكون مبني على العشق، وهو الذي يسري ويجري في كل الموجودات، ويتحقّق الخلق بالحب وعودة الموجودات إلى الوحدة بالعشق والمحبة حيث يقول: «لولا ذلك الحب لما ظهر موجود من الموجودات، ولما وصل أحد إلى كمال من الكمالات، فإن بالعشق قامت السموات والأرض» . ويعتبر المحبة والشوق والعشق وسيلة للمعراج والوصول، وهكذا في الفكر الكوني للامام يعتبر العشق عنصر الخلقة والتكاثر للموجودات، وعنصر عودة الموجودات ورجعتها للوحدة.

من وجهة نظره فان كافة الموجودات حاضرة في ساحة الباري،

والجميع يـرتبط بخالقـه دون واسـطة، وذرات العـالم تتمتـع بصفات الحياة والعلم وبقية الشؤون الحياتية، ويعتبر قولـه تعـالى: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّـهِ مَـا فِـي السَّـمَاوَاتِ وَمَـا فِـي الأَرْضِ﴾ دلـيلا لمدعاه، ويعتقـد بـأن التسـبيح وتقـديس الله وثنـاءه يسـتوجب العلـم والمعرفـة بمقامـه المقدس وصفاته الجلالية والجمالية.

يعتبر الإمام العالم واحداً ذا شعور، منظم، ناطق يتحرك صوب الكمال، وحينما يسمي الإمام العالم «مسجد الربوبية» فإنه يعني أن الإنسان في عالم ونظام الكون يسجد لله المتعال، والدنيا في رأيه لا تستحق الذم وليس لها بعد سلبي، بل هي مزرعة الآخرة، وأن الحياة الخالدة للإنسان رهن بسلامة حياته الدنيوية، وهذه النظرة لها تبعات جميلة ومعبرة، وتؤسس للتعايش الخلقي والبيئي.

إن ثمـرة مثـل هـذه النظـرة تظهـر في مجـال التعـرف بعـالم الطبيعة وكذلك في مجال صونها وحفظها، ففي الفكر المادي يتم التعامل مع عالم الطبيعة كأداة، ويرى الطبيعة في خدمته ولا يرى لها حرمة، بينما الذي يرى «العالم محضر الله» و«العالم مسجد الربوبية» و«الإنسان» هو الكائن الوحيد الذي بإمكانه أن يعـرف الله أكثـر مـن بقيـة المخلوقـات سـيحترم عـالم الطبيعـة احتراماً خاصاً.

من وجهة النظر هذه فان أصغر ذرات العالم هي داخل نظام ذي شعور وبصورة مترابطة ومنسجمة ، وتتحرك باتجاه مقصدها،

ولكل منها معنى ومفهوم وتجد مكانها في موقعها، وأن نظام الكون حي باستطاعته تجديد حياته .

فإذا اعتبرنا الإنسان مركز العالم، بدليل أنه يستطيع كشف نظم العالم واحترامه، ولأنه مركز العشق الإلهي، فإنه ينظر بمحبة ومودة لبقية المخلوقات، لأن بقية الكائنات في هذه النظرة هي آيات وعلائم للمحبوب الأزلي. في هذه المنظومة الفكرية نرى التكنولوجيا محدودة بحدود المسائل الاخلاقية، وأن رعاية البيئة لا تعتبر جانباً كمالياً، بل هي ذات أهمية وموضوعية. في هذه النظرة: العالم والطبيعة ليسا في خدمة الاستغلال النفعي والأناني بل من أجل الحياة السليمة للأجيال المقبلة.

اللافت للنظر أن الحضور في الطبيعة والتعامل معها كالحضور في المسجد والأماكن المقدسة يقتضي آداباً خاصة، فبدون الطهارة وبدون الإذن الإلهي لا يمكن التصرف بها .

ما يمكن فهمه في فكر الإمام في هذاالمجال هو أننا مكلفون باحترام الطبيعة وعدم تلويثها . وهكذا فان الإخلال بنظام الطبيعة باعتبار أنه لصالح الإنسان غير مرغوب فيه (إلا في حكم الضرورة)، لأن نظام الطبيعة يعكس الحكمة المعنوية، وأن ترتيبها لم يتم بالصدفة، وهكذا فان الإخلال بها يجب أن يكون مبرراً معنوياً وشرعياً، وكذلك فان التكنولوجيا التي تتصرف بالطبيعة وتتعامل معها كأداة يجب أن يكبح جماحها، ولكن

للأسف نجد أن المدافعين عن الطبيعة هم أيضاً ينظرون إليها على أنها أداة لا غير.

أكتفي هنا بهذا المقدار وأذكر بأن هذه النظرات العامة يمكن أن تتمخض عنها نظريات جديدة في المجالات المدنية والاجتماعية، ونحن في إيران نختبر الآن بعض الأشكال الممكنة لهذه النظريات العامة، لكي تتبدل إلى أنظمة اقتصادية واجتماعية وتحتاج إلى تجارب أطول، ونرجو أن تسمح لنا الظروف الدولية الضاغطة بممارستها.

مما تقدّم نفهم أن فكر الإمام الخميني يتعارض بشدّة مع فكرة الإرهاب، لانّ الفكر الذي ينظر للطبيعة بهذه النظرة السمحاء لا يمكن أن يتعامل مع الإنسان كأداة، وأن السياسة والنظرة الإرهابية للإنسان والطبيعة تضحّي بالغاية من أجل الوسيلة وتبررها.

يبدو أننا لا نبالغ لو قلنا بأن السياسة المعنوية التي رسمها الإمام هي أبعد ما تكون عن الإرهاب والتشدد والإخلال بالسلام والأمن وتلويث الطبيعة.

ولكن الإعلام العالمي سعى ـ مع الأسف ـ لإضفاء صفة الإرهاب على شخصية الإمام وفكره.

أعتقد أن العلماء والباحثين يتحملون مسؤولية تسليط الأضواء على هذه الحقائق واستثمارها لصالح السلم العالمي،

للوقوف أمام موجة الإعلام الخادع الذي يرسم مثل هذه الصور المغلوطة.

برأيي أن فكر الإمام هو فكر الغد، ويجب أن لا نقارنه بميزان الخطأ والصواب الموجود في بعض الممارسات العملية. إن أهمية هذا الإبداع الذي استعرضته في فكر الإمام لا ينحصر في مداه الإقليمي والوطني، بل يتبلور في دمج المعنويات والأخلاق بالسياسة، واعتبار العالم محضر الله، والتمتع بنظرة الإنسان العاشقة للعالم والتي تفتح آفاق العالم الرحبة لمدى أبعد للإنسان المتوتر في القرن الحادي والعشرين.

هذه الرؤى البديعة للإمام ـ والتي يجري متابعة بعضها في إيران ـ يمكن أن تكون هدية السلام، واحترام الإنسان، وكرامته، ورعاية البيئة للعالم المتأزم اليوم.

المسألة الأساسية في تربية الأمة هي توفر الثقافة الصحيحة، فاسعوا إلى أن تكون الثقافة، ثقافة اسلامية مستقلة. واسعوا إلى أن يكون الشباب المتربي على هذه الثقافة هو الماسك بمقدرات البلد. فان حدث ذلك يُصبح المسؤولون بأجمعهم في خدمة الشعب وأمناء على بيت المال. وهذا لا يتحقّق الا تحت قيادة الإسلام.

من حديث الامام الخميني لوزير خارجية تركيا ١٠حزيران ١٩٧٩

بمناسبة الذكرى التاسعة عشرة لرحيله

ملامح مشروع الإمام الخميني

مجموعة خطوط وملاحظات اجتمعت لديّ من قراءاتي في أدبيات الثورة الإسلامية التي قادها الإمام الخميني في إيران، يمكن أن تتصل في رؤية مكتملة للأصول الفكرية التي حكمت هذه الثورة المنتصرة، وتجلّت في واقعها السياسي والاجتماعي والثقافي القائم اليوم في الجمهورية الإسلامية الإيرانية.

- ١ -

دعا الإمام الخميني إلى الجمع بين مهام الفقيه ومهام السياسي، ورأى في الفصل بينهما تعطيلاً لأهم ركن من أركان الإسلام، ينتهي إلى تحويل الإسلام إلى كهنوتية مسيحية. ذلك أن الإسلام جعل السياسة من صلب قواعد عبادته (الحج، صلاة الجمعة، صلاة العيدين). والمساجد فيه ليست دُوراً للعبادة فحسب، وإنما هي برلمانات، وثكنات، وخزائن لبيت المال، ومدارس، وجامعات، ومجالس قضاء، ومنتديات...

فالإمام يعدّ إذن (من هذا المنطلق) أول من تكلم على إمكان

إنشاء حكومة إسلامية في هذا العصر، بتشريعها وجهازها التنفيذي.

- ٢ -

تبرز في فكر الإمام الخميني (القيادي ـ التنفيذي) جملة قواعد:

ـ وحدة القيادة أساس في كسب النصر.

ـ عدّة النصر: بناء النفس + التنظيم + إعداد العدّة.

ـ الأخذ بوسائل العصر في التنظيم والانضباط وإعداد العدّة.

. إعادة النظر في التقيّة وشروطها لتخليصها من السلبيّة، في مفهومها الشائع.

ـ توثيق صلة العلماء بالشعب (السوق والشارع). فالأمة هي الأصل في قوة العلماء ومراجع الدين الذين لم يتخذوا من الدين تجارة، ولم يتطفّلوا على الدين، وجعلوا من الإسلام أمانة مقدسة في أعناقهم يجب حفظها والدفاع عنها.

- ٣ -

بهذه المثابة يكون الإمام الخميني صاحب مدرسة فكرية مكتملة، نشأ رجالها في الحوزات العلمية، فربطوا العلم بالعمل، ورجعوا إلى الأصالة في مواجهة حركة التغريب الفكري والحضاري، دون أن يقطعوا صلتهم بالعصر وحاجاته، وتسلحوا بفكر ثوري غير مهادن. والإمام يقف على الجبهتين الداخلية

والخارجية، ويستمد من تراثه الأصيل والإيمان به دوافع الثقة والقوة والشموخ، إذ لاشيء يتعذر تحقيقه مع الإيمان الصحيح القوي، وما حققته ثورته كان يبدو قبل فوزها، أضغاث أحلام (تقويض سلطة الشاه بأجهزتها كلها وبارتباطاتها الخارجية).

- ٤ -

وهكذا قدمت هذه المدرسة الفكرية، إلى المسلمين وإلى العالم، مشروعًا حضاريًا ملائمًا لروح العصر ومتصلاً، في الوقت نفسه، بأصوله الإلهية. فهو في مبناه ومعناه، لغة جديدة تواجه ثقافة العصر العالمية التي قطعت صلاتها بالغيب، وربطتها بالمحسوس وحده. ويمكن أن نعدّها امتدادًا أصيلاً وحيًا لحركة الإحياء القائمة على أصولها العميقة من وحدة التراث الإسلامي، والنازعة إلى ربط صالحها بصالح الإنسانية كلها، على أساس أنها مكلّفة بحمل رسالة يمكن أن تعين على إنقاذ المدنية المعاصرة من الدمار (قلب مفهوم السياسة وغاياتها المنقولة عن كتاب الأمير (لمكيافيلى Machiavelli ت ١٥٢٧م) في الحضارة الغربية، إلى الرحمة وردّ الظلم والمساواة بين الناس والانتصار للحق في المفهوم الإسلامي).

وهي رسالة ينبغي أن تتجنّد قوى الأمة كلها: الروحية والمادية والعلمية لإبلاغها والنضال في سبيلها. وعلى هذا النحو نفهم مؤدى الكتاب الذي كتبه الإمام الخميني إلى «غورباتشوف»..

فهماً سليماً، ونفهم البعد العالمي لثورته التي ربطت فكرة تحرير المسلمين بتحرير المستضعفين في الأرض، ووصلت قضايا المسلمين بقضايا التحرير العالمية.

- ٥ -

يحمّل الإمام الخميني علماء الأمة تبعات كبيرة، فقد ألحّ على نظافة مسلكهم، وبعدهم عن إغراءات أصحاب السلطان، واستعلائهم على الدنيا، وزهدهم في زينتها وحطامها «فالدنيا ـ كما يقول ـ ليست شيئاً ذا بال». والعالِم المتقى يصلح مجتمعاً بأسره. وإذا فسد العالِم فسد العالَم. ولهذا كان يرى أن يدرّس علم الأخلاق في الحوزات العلمية، إذ لا قيمة للعلم إلا مع العمل واستقامة السلوك. فإن العمامة واللحية قد تحولان بين الإنسان وإصلاح نفسه في أحيان كثيرة، إذ تزيدان من التكبر والغرور، وتسوّغان طرق الضلال وتفرّعاتها بالسعي إلى الجاه الكاذب والشهرة الفارغة. ومن هنا ضيّق الإمام على العلماء مجال التوبة وأباحها للعامة ﴿الذين يعملون السوء بجهالة﴾. أما العلماء فلا تقبل توبتهم.

وهو يدعو العلماء، من ناحية أخرى، إلى التضامن والوفاق، فقوتهم في وقوفهم صفاً واحدًا في مواجهة معسكر البغي. والمهم في هذا كله أن يحوّلوا ولاء الناس الكاذب للسلطة إلى ولاء روحي عميق للرسالة التي يجسدونها في أعين الناس. وبهذا يعيدون للجهاد معناه الحقيقي وللشهادة قيمتها الكبرى.

- ٦ -

لاشك أن الإمام الخميني قوّى عزائم الناس في مواجهة الأنظمة السياسية الظالمة في العالم الإسلامي، وعمل على تقويض نزعة الاستسلام التقليدية لأولي الأمر أياً كانوا، وهي النزعة التي شاع أمرها في حياة المسلمين بحكم بُعدهم عن حقائق الحياة السياسية الديمقراطية السليمة، حتى قوي إحساسهم بفقد حريتهم الداخلية جراء ولائهم الكاذب للسلطة، وفقدوا صلتهم الروحية بها وشجاعتهم في مواجهتها، ونمت فيهم ظواهر الخنوع برذائلها كلها، فأصبحت، بعده، مفردات مقاومة الاستكبار والمستكبرين التي أطلقها، من شعارات الثورة.

- ٧ -

ولكن الإمام رمى، من وراء تطهير الساحة الداخلية، إلى أن يهيئ لنقل خط الصراع، في حياة المسلمين، من الداخل إلى الخارج، في مواجهة القوى التي تذلهم. ومن المحزن جداً أن تكون مأساة الحرب العراقية الإيرانية نكسة خطيرة في وجه هذا الجهد، إذ كانت حركته تدعو إلى أن يكون الولاء الروحي والسياسي والاجتماعي، عند الفرد المسلم، مهما يكن مذهبه، للإسلام وحده بثوابته التي ينبغي أن تحدد وتنفرد بالولاء. ولهذا دعا إلى مؤتمرات تعقد لزعماء المذاهب الإسلامية في أقطارها المختلفة، ليتعاونوا على فرز الثوابت وجمع القلوب عليها، ولينفوا عن

أنفسهم ما علق بها، بعد هذا التاريخ الطويل، من الشكوك والظنون والتعادي، في الطريق إلى حسن الفهم المتبادل، وبناء الثقة المتبادلة.

.٨.

وهكذا خرج الإمام بثورته الإسلامية على التقليد القائم بانكفاء كل قطر إسلامي على همومه. فهو يهتم بكل حركة إسلامية، على امتداد ديار الإسلام. وخرج بها أيضاً على تقاليد الخلاف السني ـ الشيعي، على مدار التاريخ الإسلامي، فردّ بثورته على سلبيات هذا التاريخ كله، وعلى الواقع الإسلامي القائم (المذهبية، العرقية، الإقليمية، التقاطع السياسي في الداخل)، وعاد إلى التمسك بالخط الإسلامي الصافي الذي لمع نجمه مع ظهور الإسلام، في وجه القوى الخارجية: الثقافية والسياسية والعسكرية، متجاهلاً انشغال كل قطر إسلامي بنفسه، لبعد المسافات، واختلاف المشكلات التي تتعرض لها المجتمعات المختلفة، ولاختلاف ألوان الثقافات بحكم اختلاف الظروف.

فأعاد، على نحو ما، طرح قضية المجتمع الإسلامي الواحد أو المتحد، من حيث يظن الناس أنها قضية قديمة عفى عليها الزمن. وطرح، من ورائها، قضية الوحدة الإسلامية على صورة من الصور.

ومن هذا المفهوم الجامع دعا إلى تخصيص أيام إسلامية يجتمع المسلمون في أقطارهم جميعاً على الاحتفال بها (آخر جمعة في رمضان: يوم القدس، وأسبوع ولادة الرسول(ص) من ٧ ـ

١٥ ربيع الأول) إيقاظاً لشعورهم بانتمائهم الواحد بدل انتماءاتهم المختلفة.

- ٩ -

ولكن صلته بالعالم الحديث وحاجاته وحاجات الفرد المسلم منه كانت لا تغيب عنه. وكان يدرك إدراكاً قوياً حاجة هذا الفرد المسلم إلى أن يدرّب على الحياة فيه، وأن يتضح له موقف الإسلام من قضاياه الكبرى السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية، حتى يملك قدرة التحرر من التبعة للآخرين، كما يملك القدرة على التحرر من أدوائه في داخل الساحة الإسلامية، وهي الأدواء التي يجمعها التخلّف بجوانبه المختلفة.

- ١٠ -

وجوه التخلّف الذي تعصف أدواؤه بالعالم الإسلامي، يمكن إجمالها في: الأمية والفقر، واستشعار الدونية الحضارية، لضعف الانتساب إلى العصر، وطغيان الفردية والمحسوبيات، وانحلال الرابط الاجتماعي، وفراغ المذاهب، والفرقة بينها، وضعف المناعة الذاتية، والحجر على الحريات الفردية والفكرية، وقفل باب الاجتهاد، والالتفات عن بناء نظام اقتصادي إسلامي معاصر، وسوء توزيع الثروة الإسلامية، واختلال التوازن بينها وبين عدد السكان (الانفجارات السكانية). وهكذا يجمع التخلف حقول الحياة بمجموعها: الاقتصادي و العلمي و الفكري العام (الثقافي) و الاجتماعي و السياسي.

- ١١ -

وقد واجهت مدرسة الإمام الفكرية هذا الواقع الإسلامي السيئ بالدعوة إلى إصلاح البيت الإسلامي، وإصلاح أساليب التربية، وبتكوين هيئة من رجال المذاهب الإسلامية للبحث في فرز نقاط الافتراق والاجتماع، وبث الوعي في النفوس، ومواجهة قضايا العصر الكبرى، مثل: التوفيق بين القومية والدين، ومواجهة الرجعية بمعناها الحقيقي، ومعالجة قضية المرأة والقضايا الاجتماعية الأخرى، وتحكم الطائفية في المجتمع الإسلامي، وتحكم الإقليمية والعنصرية.

- ١٢ -

ووقفت هذه المدرسة وقفة طويلة أمام القضية التي تواجه العالم الإسلامي منذ ظهور الإسلام، وهي عداء الغرب، على إطلاقه، لنا، على حين لم يقف موقف العداء من أديان أخرى مثل البوذية والهندوسية، ولم يُثر حولها مثل الضجة التي أثارها من حولنا.

والطريف أن الإمام رمى هنا إلى أن يعيد، إلى المسيحية أيضاً، وجهها الحقيقي، بعيداً من إرادة الإذلال التي تسلح بها معتنقوها في الميدان السياسي والعسكري. فكأنه، في مواجهة الغرب في عدائه للإسلام، سعى إلى أن يعيد إلى الدين في ذاته وجهه الحقيقي القائم على وحدة المصدر، ووحدة القيم، ووحدة المصير الإنساني.

ولكن ما السبب في عداء الغرب لنا؟ هل هو في اقتراب العالم

الإسلامي من العالم المسيحي واحتكاكهما منذ ظهور الإسلام؟ أم لأن الإسلام، مثل المسيحية، دين سماوي؟ ولكن المسيحية لم تخاصم اليهودية مثل هذه الخصومة، وهو الدين الذي ثار السيد المسيح بواقعه الذي كان عليه في أيامه، ويُسأل أتباعه، في رأي المسيحيين أنفسهم، عما يقولون "بصلب" السيد المسيح!

لعل أسباب هذه الخصومة لم تحلل إلى اليوم تحليلاً علمياً يقربها من الفهم، فهي قائمة بالرغم من أن الثقافة الإسلامية (كما يقول الدكتور عبد الهادي أبو ريدة) نمت كلها تقريباً داخل العالم الإغريقي القديم، مما جعل المؤثرات الخارجية التي صاغت هذه الثقافة إغريقية وفارسية، وجعلها بهذا أقرب إلى أوربة من ثقافات الهند والشرق الأقصى!

لقد بلغت عداوة الغرب للإسلام أن عملوا على تفكيك العالم الإسلامي، وظنوا أن الدعوة إلى وحدته قضى عليها التأثر بالفكر الغربي وحضارته الحديثة، وما جاءت به من ثقافات وتجارب اجتماعية وسياسية. فهم ظنوا أنهم دفنوا الإسلام بصفته فكراً يعمل على تكوين المجتمعات الإسلامية الحديثة وسياسات دولها. وعملوا على إثارة النزعات "التاريخية" كنزعة الشعوبية التي أشار إليها رئيس جمهورية فرنسة، في بعض حديثه عن دوافع فرنسة إلى تسليح العراق! فقد جاء الإمام الخميني نفسه يبعث أفكار الوحدة الإسلامية، من البلد الذي تظن فرنسة أنه هو الذي صدرت عنه النزعة الشعوبية في القديم والحديث.

تقرير عن
المؤتمر الحادي والعشرين للوحدة الإسلامية
القسم الثاني

كانت كلمة الدكتور **عبدالعزيز عثمان التويجري** المدير العام للمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (ايسيسكو) مركزة على قراءة مشروع ميثاق الوحدة الإسلامية المطروح على المؤتمروهذه مقتطفات منها:

يعكس مشروع **ميثاق الوحدة الإسلامية** الاهتمام الكبير الذي توليه النخب العلمية والفكرية في العالم الإسلامي، لتوحيد الأمة ولمّ شملها ورأب صدعها، ولإزالة الأسباب التي تؤدي إلى تشتت جهودها الرامية إلى التكاتف واكتساب القوة والمناعة ضد المؤثرات السلبية الوافدة مع القوى الدولية الغازية التي تضمر الشر لها.

فهذا المشروع يعبّر تعبيرًا وافيًا، عن طموح إسلامي جماعي إلى إعادة اللحمة إلى الصف الإسلامي، وتجديد البناء الحضاري للعالم الإسلامي، من منطلق إرساء الأسس الثابتة للوحدة المتوازنة المتكاملة، وترسيخ قواعد التعاون الذي يبلغ درجة الشراكة بين البلدان الإسلامية كافة، في إطار مبادئ منظمة المؤتمر الإسلامي وأهدافها.

فالوحدة الإسلامية أمل الأمة الإسلامية قاطبة، وهي المطمح الذي عمل من أجله روّاد نهضتها وقادة شعوبها والصفوة من علمائها ومفكريها، منذ القرن التاسع عشر الميلادي، على اختلاف الظروف التي عاشوا فيها، وتعاقب مراحل العمل في سبيل تحقيق هذا الهدف السامي والمقصد النبيل.

والوحدة الإسلامية مصدر من مصادر القوة للأمة الإسلامية، وهي الوسيلة الناجعة للتغلب على عوامل الفرقة والتمزّق وعناصر الضعف والعجز. وهي فوق كل خلاف وتعلو على كل نزاع؛ فما من جماعة أو هيئة أو فئة تعمل من أجل تقوية الأمة وتقدمها ونمائها وإزدهارها، إلاَّ وهي تتطلع إلى تحقيق الوحدة الإسلامية في أجلى مظاهرها وأبهى تجلياتها.

ولما كانت الوحدة الإسلامية هدفًا استراتيجيًا دون تحقيقه مراحل وحواجز وصعوبات وتحديات، فقد كان من الطبيعي أن تتعدّد الاجتهادات ووجهات النظر المطروحة حول هذه القضية، وأن تتنوع التصورات والمقترحات، وأن تختلف الآراء والأفكار، وأن تنشأ

مدارس فقهية وإتجاهات فكرية وسياسية لكل منها تصور تطرحه للوحدة الإسلامية، وموقف تتخذه إزاءها. فهذا التنوّع في الرؤى يغني الفكر الوحدوي، ويفتح أمام العاملين في هذا المضمار، آفاقًا واسعة للتأمل وللتعمق في البحث والدرس، وللفتوى الفقهية وللاجتهاد الفكري والسياسي. فلا ضرر إذن في التعدّد في الطرح الوحدوي، ما دامت الغاية واحدة، ومادامت المصالح العليا للأمة الإسلامية هي الدافع القوي للتفكير في هذا المشروع الحضاري الكبير الذي يستحق منا أن نعمل له جميعًا، كل من موقعه الذي يشغله وفي حدود صلاحياته واختصاصاته.

منذ عقود متطاولة، والساحة الفكرية في العالم الإسلامي، تشهد طروحات متعددة واجتهادات متنوعة حول الوحدة والتضامن والتآزر والتعاون من أجل ما فيه الخير والصلاح والقوة والتقدم للأمة الإسلامية. فمن **جمال الدين الأسدآبادي المعروف بالأفغاني، وعبد الرحمن الكواكبي الحلبي السوري، إلى محمد عبده المصري، ومحمد رشيد رضا الطرابلسي السوري، وعبد العزيز الثعالبي التونسي، والإمام حسين البروجردي الإيراني، والشيخ محمود شلتوت المصري**، وغيرهم من الأعلام الرواد الذين نادوا بالوحدة، وبشروا بها، ودعوا إليها، وأوجدوا بعملهم وجهادهم الفكري والثقافي والصحافي، تياراً عريضاً يؤمن بالوحدة الإسلامية.

إن الأخوة الإسلامية تقوم على ثلاثة مبادئ كلها يتصل

بالأخلاق والفضيلة، ليس فيها اعتداء على أحد، ولا تعصب ضد أحد :

أولها : شعور بالأخوة بين المسلمين بعضهم مع بعض، يتحقق فيها قوله تعالى : ﴿إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم، واتقوا الله لعلكم ترحمون﴾ ، وألا يكون منهم اعتداء على غيرهم إلا إذا اعتدى على إقليم منهم.

ثانيها : وحدة ثقافية ولغوية واجتماعية، حتى يتضافروا جميعاً على محاربة المذاهب الهدامة، ومنع شيوعها بين المؤمنين خاصة، وبين الناس عامة، حتى لا يكون فساد في الأرض.

ثالثها : ألا يكون من إقليم إسلامي حرب على إقليم آخر، أيا كانت أساليب هذه الحرب، سواء أكانت بالاقتصاد، أو بالتحالف على مسلمين.

ولئن كانت مفاهيم الوحدة الإسلامية تتعدّد بتعدد الرؤى والاجتهادات، وهذا أمر طبيعي، فإن مما لا شك فيه أن الوحدة الثقافية واللغوية والاجتماعية حقيقة ثابتة لا ريب فيها ؛ فالمسلمون جميعاً يدينون بعقيدة دينية واحدة، ويؤدون الفرائض بلغة واحدة، ويحتكمون في أحوالهم الاجتماعية (الأحوال الشخصية) إلى شريعة واحدة. وهذه وحدة إسلامية قائمة لا سبيل إلى نكرانها، وهي من مقومات الشخصية الإسلامية، على الرغم من اختلاف البيئات والأعراق واللغات.

ولكن هذا المستوى الراقي من الوحدة لابد أن يتكامل مع مستويات أخرى على نحو يزيد في ترسيخ قواعدها وتفعيل عناصرها وتحقيق أهدافها. ولذلك فإن المشروع الذي وضعه المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، حول ميثاق الوحدة الإسلامية، لابد أن يكون دعمًا قويًا لهذا التوجّه الوحدوي.

ينطلق مشروع **ميثاق الوحدة الإسلامية** من رصد موانع التقريب والوحدة، وهي التعصب، والغلو، والتكفير، ونقل النزاع إلى مرحلة الكفر والإيمان، ومؤاخذة الآخر بلوازم كلامه وهو ينكر الملازمة، والحوار اللامنطقي، والإساءة للمقدسات، وفرض المذاهب على الآخرين، والقيام بالأعمال الاستفزازية المثيرة للفتنة، وغير ذلك.

ويمكن أن نضيف إلى هذه الموانع التي أشار إليها الميثاق، والتي لا تقل خطرًا على وحدة الأمة من الأخرى، عجز مناهج التربية والتعليم، عن نشر ثقافة الاحترام والتعايش والتوادّ بين المسلمين، وتشويه حقائق التاريخ وتفسير أحداثه وفق النظرة المذهبية أو الطائفية، والجرأة في التطاول على صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأزواجه أمهات المؤمنين والحط من قدرهم الذي يبلغ أحياناً درجة موغلة في سوء الأدب مع من نزل فيهم القرآن رضي الله عنهم في كتابه العزيز، والسكوت عن ظواهر الغلو والتطرف مراعاة لمشاعر العوام من أتباع هذا المذهب أو ذاك وحرصاً على

استقطابهم واستغلالهم لأغراض غير بريئة، وضعف اللغة العربية ضعفاً معيبًا لدرجة يتعذر معها الرجوع إلى أمهات كتب التاريخ الإسلامي ومصادر الثقافة الإسلامية، للاطلاع المباشر على أصول العقيدة والحقائق التاريخية، والتأثر بالسياسات التي تمليها القوى الأجنبية التي لها المصلحة في تمزيق صف الوحدة الإسلامية، وتغليب المصالح الطائفية أو العرقية أو السياسية العارضة على المصلحة الإسلامية العليا، وتقاعس طائفة من العلماء من مختلف المذاهب عن القيام بالواجب المنوط بهم في تبيان حقائق الدين الحنيف وكشف الأباطيل ودحض الشبهات.

ومن الوسائل الداعمة للوحدة الثقافية بين المسلمين أيضاً، تفعيل الاستراتيجيات الأخرى التي وضعتها المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، في مجالات التربية، والثقافة، والعلوم والتكنولوجيا، والتعليم العالي، والتكافل الثقافي. وهي وثائق رسمية تجتمع حولها الإرادة الجماعية للأمة الإسلامية، وتضع إطاراً للعمل الإسلامي المشترك في هذه المجالات الحيوية.

يقول أحمد أمين في كتابه **يوم الإسلام** الذي صدر عام ١٩٥٢ قبل وفاته بسنتين في منتصف الخمسينيات من القرن الماضي : «إن الحاجة إلى الجامعة الإسلامية اليوم لا تزال كما كانت، بل أشدّ مما كانت؛ لأن المسلمين لا يزالون متفرقين رغم توالي الضربات عليهم، ورغم اتحاد السياسة الأوروبية ضدهم ومع محاولة أوروبا

خنقهم. وقد قال أحد الأوروبيين إن هذه النهضة الإسلامية حاولت الاتفاق مع البوذيين ومع الصينيين ولم يبق أمامها إلاّ عدو واحد هو أوروبا، أي أن الشرق ناهض وعلى الغرب أن يستعد لمقابلته في ساحة العراك، وأمام أوروبا اليوم مسألة هامة هي هذه الجامعة الإسلامية. أليس من الحكمة أن تدبر ضربة قوية قاضية تخمد هذه الحركة الإسلامية. أما رأيي أنا ـ يقول هذا الأوروبي ـ فهو اقطفوا البرعم قبل أن يزهر فيثمر».

ويلاحظ هنا أن هذا الكتاب لم يلق رواجاً واسعاً في الأوساط الثقافية والعلمية الإسلامية وغيرها، كما لاقت مؤلفات الأستاذ أحمد أمين، خصوصاً منها (فجر الإسلام) و(ضحى الإسلام) و(ظهر الإسلام). وإذا كان أحمد أمين لم يورد اسم الأوروبي الذي نقل عنه هذه الفقرة، فقد ساق في مواضع أخرى من كتابه، أقوالاً للمنصّر الشهير (زويمر) حول هذه القضية، جديرة بأن تراجع في مظانها، فهي لا تزال تنطبق على الواقع الحالي، وكأنها قيلت حديثاً.

والمقصود بالجامعة الإسلامية في هذا النص الوحدة الإسلامية؛ فلقد كان هذا هو المصطلح الذي راج منذ أواخر القرن التاسع عشر، ثم تراجع تداوله بعد الحرب العالمية الثانية، ليحل محله مصطلح (الوحدة الإسلامية) و(الوحدة العربية)، ثم اختزل في (التضامن الإسلامي) الجامع لمضامين الجامعة

الإسلامية ولدلالاتها ولمراميها وغاياتها. أما المعنى المقصود (بالحركة الإسلامية)، فهو ينصرف إلى مصطلح العمل الإسلامي المشترك الذي نأخذ به اليوم، أي الحركة الإسلامية باسم العالم الإسلامي لتحقيق المصالح العليا للأمة الإسلامية.

ومما هو جدير بالانتباه إليه في هذا السياق، أن الغرب قد تنبَّه إلى بشائر النهضة الإسلامية وملامح الحركة الإسلامية بالمفهوم العام الشامل، وليس بالمفهوم الضيق المتداول في مرحلتنا الحالية قبل عقود من السنين. ولذلك تربص الغرب بفكرة الوحدة الإسلامية، وسعى بكل الوسائل لتشويه مقاصدها وتحريف مضامينها وشن حملات التشهير ضد المتبنين لها الداعين إليها والعاملين من أجلها. يقول الإمام الخميني: «إن هدف القوى الكبرى وعملائها في البلدان الإسلامية، يتمثل في بث الفرقة بين المسلمين - الذين آخى الله بينهم وسمَّى المؤمنين منهم بالإخوة - وفصلهم عن بعضهم، باسم الشعب التركي، والشعب الكردي، والشعب العربي، والشعب الفارسي، بل وإيجاد العداوة بينهم. ومثل هذا يتناقض مع نهج الإسلام والقرآن الكريم تماماً».

إنَّ الوحدة الإسلامية فريضة دينية وضرورة حياتية. وهي من الأهداف السامية التي يتوجَّب على جميع المسلمين السعي بكل إخلاص من أجل تحقيقها. وهي على مستويات عديدة، أهمّها من وجهة النظر الواقعية، الوحدة الثقافية التي أساسها المتين الوحدة

الإيمانية، ثم الوحدة الوجدانية، ووحدة المصالح المشتركة.

وإذا كان الدين لا يأمرنا بالتمزق والصراع، بل يحضنا على الوحدة والتآخي، وإذا كان العقل والمصلحة لا يأمراننا بذلك بل يحصّاننا على الوحدة والتكتل والتناصر، فلماذا نفعل فيما بيننا عكس ما يمليه علينا الدين والعقل والمصلحة؟. لذلك لابد لنا من البحث، أولاً عن أعماق أبعد، في داخل الذات، وليس خارجها ﴿إن الله لا يغيّر ما بقوم حتى يغيّروا ما بأنفسهم﴾.

إنّ مما يلفت النظر في هذا المشروع (مشروع ميثاق الوحدة اسلامية)، ما ورد فيه تحت (الأسس) بخصوص الاجتهاد، ثم الحفاظ على المصالح العامة للأمة الإسلامية. فصحيح أن الإسلام دعا إلى الاجتهاد (أو أقر الاجتهاد كما في الميثاق) في إطار المصادر الإسلامية (أو بالأصح المصدرين الرئيسين القرآن والسنة النبوية)، ولكنه لم (يقر الاختلافات الفكرية عبر إقراره شرعية الاجتهاد) حسب الصياغة الواردة في المشروع، لأن الإسلام يراعي طبيعة البشر الذين يختلفون ويتفقون، وسنَّ الاجتهاد وإعمال الفكر لاستنباط الحلول لمشكلات الناس. وعلى أهمية الاجتهاد وفضله ووجوبه، فإنه ليس من الأسس الإيمانية. كما أن (المحافظة على المصالح العامة للأمة الإسلامية) على وجوبها، فإنها ليست من الأسس الإيمانية. ولذلك يتعيَّن أن تدرج هاتان المسألتان ضمن الواجبات التي تقتضي القيام بها، وتدخل في إطار (التطلعات) . حسب عبارة

الميثاق ـ التي تحدد مهام العلماء والمفكرين، ومن جملتها السعي إلى جعل الوضع الذي يعيشه المجتمع الإسلامي المعاصر أقرب ما يكون إلى عصر الرسالة الأول من حيث الأخوة الدينية، والتعاون على البر والتقوى، والوقوف صفاً واحداً أمام التحديات، والتواصي بالحق والتواصي بالصبر، والابتعاد عن التفرق والتنازع وعن كل ما يؤدي إلى وهن المسلمين وفشلهم، وتوسيع نطاق التضامن القائم حالياً بين المذاهب الإسلامية ليشمل المسلمين جميعاً، وتعزيز الصحوة الإسلامية وتعميقها وترشيدها، وتحقيق التقارب بين أتباع المذاهب الإسلامية.

وهذه أهداف سامية ومهام مستعجلة، ومن الأولويات التي يتفق عليها الجميع، والتي لا ينبغي أن يسبقها غيرها؛ إذ لا فائدة ترجى في الاشتغال بالقضايا التي عفى عليها الزمن، وإثارتها اليوم تضرّ ولا تنفع ألبتة.

يقول الإمام البروجردي عن ضرورة تغيير مسار الحوار بين أهل السنة والشيعة، نحو ما يمكن أن يتفقوا عليه، وإبعاد الحوار عن المسار الذي لا يمكن أن يتفقوا عليه : «إنَّ مسألة الخلافة لا جدوى فيها اليوم لحال المسلمين، ولا داعي لإثارتها وإثارة النزاع حولها. ما الفائدة للمسلمين اليوم أن نطرح مسألة من هو الخليفة الأول؟. إنما المفيد لحال المسلمين اليوم هو أن نعرف المصادر التي يجب أن نأخذ منها أحكام ديننا».

وممّا ينسجم مع هذا التوجّه الحكيم ما جاء في ختام المقدمة الضافية القيمة التي كتبها الشيخ محمود شلتوت لطبعة دار التقريب بين المذاهب الإسلامية بالقاهرة لتفسير (مجمع البيان في تفسير القرآن) للسعيد أبي الفضل بن الحسن الطبرسي من «أن المسلمين ليسوا أرباب أديان مختلفة، ولا أناجيل مختلفة، وإنما هم أرباب دين واحد، وكتاب واحد، وأصول واحدة، فإذا اختلفوا فإنما هو اختلاف الرأي مع الرأي، والرواية مع الرواية، والمنهج مع المنهج، وكلهم طلاب الحقيقة المستمدة من كتاب الله، وسنة رسول الله، والحكمة ضالتهم جميعاً ينشدونها من أي أفق. فأول شيء على المسلمين وأوجبه على قادتهم وعلمائهم، أن يتبادلوا الثقافة والمعرفة، وأن يقلعوا عن سوء الظن وعن التنابز بالألقاب، والتهاجر بالطعن والسباب، وأن يجعلوا الحق رائدهم، والإنصاف قائدهم، وأن يأخذوا من كل شيء بأحسنه ﴿فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، أولائك الذين هداهم الله، وأولائك هم أولو الألباب﴾...».

ويقول الدكتور عبد الرزاق السنهوري معبرًا عن فكرة الوحدة الإسلامية بصياغة قانونية عميقة باعتباره فقيهًا قانونيًا مبرزًا : «إن الشرق إذا أراد أن يبني نهضته على مبدأ القومية، فلابد له في الوقت ذاته من أن يُوجد شيئاً من الاتصال بين أقوامه المتعددة، في مبدأ نهضتها حتى يسهل بعد ذلك أن تكون هذه الأقوام على

صفاء ووداد، ويجمعها كثير من عوامل التوحيد. فلنترك الشرق تستكمل كل قومية فيه مقوماتها، ولكن لننفخ في هذه القوميات روحاً شرقية واحدة، تسترشد بها الأمة في نهضتها الوطنية، حتى يسود التآخي والتعاون فيما بين هذه الأمم، ويسهل بعد زمن . قريب أو بعيد - أن تحقق نوعًا من الوحدة في الشرق لا تزال أوروبا تتلمس إليه الطريق حتى اليوم. إن الشرق الأدنى والدول الإسلامية لا يمكن أن تجتمع على شيء واحد غير دين الإسلام».

ويقول السنهوري إن الشرق بالإسلام والإسلام بالشرق. وكان ذلك هو الشعار الذي طرحه في كتاباته للنهضة الإسلامية والجامعة الإسلامية لسائر الشعوب. ويقول هذا الفقيه القانوني الكبير أيضاً : «...ولنهضة الشرق يجب المضيّ في بث تعليم اللغة العربية في البلاد التي لا تتكلم بها، واتخاذها لغة رسمية للمؤتمرات والحكومات، وإنشاء مجامع علمية لغوية فنية».

وقبل تسعة وأربعين عامًا كتب الشيخ محمد الغزالي، مقالاً نفيساً في مجلة (رسالة الإسلام)، جاء فيه : «لا أنكر أن هناك خلافاً نشب بين بعض العلماء والبعض الآخر، بيد أن ذلك لا يسوغ نقله إلى ميدان الحياة العامة ليقسم أمتنا ويصدع حاضرها ومستقبلها. صحيح أن الخلاف نشأ سياسيًا ووسعت شقته مسالك الحكام ومطامع السلطان. وعلى الساسة أن يصلحوا ما أفسد أسلافهم، وأن يسخروا قواهم في التجميع بعدما سخرت

قديمًا في الفتق والشتات. لكن الدور الآن للعلماء، فإن العلم تأثر بالحكم دهرًا، وتلونت الدراسات الدينية بمآرب الحاكمين، ثم ذهب المنتفعون من ذوي السلطة، وبقي المخدوعون من أهل العلم، أعني العامة وأشباههم. فعلينا نحن حملة الإسلام أن نصحح الأوضاع ونزيل الأوهام».

يرسم **مشروع ميثاق الوحدة الإسلامية** (الخطوات العامة)، ويعني بها الإجراءات العملية لتحقيق التقارب والوحدة الإسلامية، ومنها (تجنب تكفير المسلمين وتفسيقهم ورميهم بتهم مثل البدعة، وعدم نقل الاختلافات من مرتبة الخطأ والصواب إلى مرتبة الكفر والإيمان، والتعامل باحترام عند الاختلاف باعتبار أن ذلك نتيجة لإقرار التعددية الاجتهادية في الإسلام، وعدم الإساءة لمقدسات الآخرين، ونشر ثقافة الحوار وأدب المناظرة وفقه الوحدة الإسلامية،

والتأكيد على عدم مسؤولية المذاهب العقدية والفقهية والتربوية عن أي ممارسات خاطئة ترتكب باسمها من قتل للأبرياء وهتك للأعراض وإتلاف للأموال وغير ذلك، وعدم الدعوة لإغلاق البحث في الجوانب التاريخية والعقدية والتشريعية المختلف حولها على أن يترك البحث فيها للمتخصصين يعالجونها بروح الأخوة والموضوعية وتحري الحقيقة.

إن هذه الإجراءات، أو الخطوات الواجب اتباعها، تتفق من وجوه

كثيرة، مع الإجراءات التي تقترحها (استراتيجية التقريب بين المذاهب الإسلامية). وهي تعبر عن فهم عميق لطبيعة العلاقات السائدة بين المذاهب الإسلامية. ولكن ما ينبغي أن نلاحظه في هذا السياق، هو أن هذا المشروع ينبني على أساس أن الوحدة الإسلامية هي التقريب بين المذاهب الإسلامية فحسب، بينما هذا مظهر واحد من مظاهر الوحدة بين المسلمين، لأن ثمة مظاهر أخرى تتمثل في ضروب شتى من الوحدة. وإن كان هذا لا ينفي أن التقريب بين المذاهب الإسلامية سيعزز التقارب بين أتباعها، وفي ذلك تعزيز للوحدة الإسلامية. لأن العمل في المجالات الاقتصادية والثقافية والتربوية والعلمية والرياضية والشبابية وغيرها، في إطار العمل الإسلامي المشترك، له هو أيضاً مفعوله القويّ في ترسيخ دعائم الوحدة الإسلامية. ولكن العمل في هذا المجال، وفي غيره من المجالات، سيكون أيسر وأكثر نفعاً وأعمّ فائدة، إذا كان ثمة تعزيز للتقارب بين المسلمين الذي ينبع من تفاهم حقيقي هو ثمرة من ثمار الأخوة الإسلامية.

إنّ **مشروع ميثاق الوحدة الإسلامية** يضع إطاراً عاماً لما يسميه (التطلعات المنظورة)، وهي ثلاثة : (تقريب أخلاقيات الوضع الحالي إلى أخلاقيات عصر الرسالة، وتقريب العلاقات الراهنة بين المسلمين إلى مستوى العلاقات بين أئمة المذاهب الإسلامية، وتوسيع نطاق التضامن ليشمل العالم الإسلامي بكل أقطاره

ومذاهبه وأعراقه). ثم يحدد المشروع أربع وسائل يقترحها لِـ (تعبئة الطاقات المادية والمعنوية لإعلاء كلمة الله ومجابهة التحديات)، وهي : (نشر ثقافة المقاومة، وتعميق الإحساس بالمسؤولية المشتركة، وتقوية الأمل بالمستقبل الموحد، وتعميق الشعور بالعزة والكرامة).

ومما يلاحظ في هذا السياق هذا التداخلُ بين (التطلعات) وبين (الوسائل). وكان ينبغي التدقيق في صياغة هذه العبارات التي هي بمثابة الديباجة للمشروع.

ومهما يكن من أمر، فإن هذه (التطلعات) و(الوسائل) متقاربة في المفاهيم، وهي لا خلاف حولها، لأنها من المسلمات. وإن كانت عبارة (ثقافة المقاومة) في حاجة إلى تحريرٍ يُبيّن معناها وضوابطها ومجالاتها.

أما العمل على تعميق الإحساس بالمسؤولية المشتركة لإقامة قواعد الوحدة الإسلامية، فهو الأساس في تقوية الأمل بـ (المستقبل الموحد)، مما يزيد في تعميق الشعور بالعزة والكرامة. وكل ذلك مرتبط بنشر ثقافة الحوار والتفاهم، و(التعايش الإسلامي - الإسلامي)، وفقه الوحدة الإسلامية في إطار فقه الأولويات الذي يراعي مقاصد الشريعة الإسلامية ومآلات الأحكام والمصالح المرسلة.

والخلاصة أن **مشروع ميثاق الوحدة الإسلامية**، أو أي مشروع

وحدوي آخر، لابد أن ينطلق من أساسين اثنين :

أولهمـــا أن وحـــدة الأمـــة الإســـلامية الإيمانيـــة والعقديـــة والوجدانية، قائمة فعلاً وصدقًا وواقعًا، بحكم قوله تعالى: ﴿إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون﴾ وفي آية أخرى : ﴿فاتقون﴾.

أما ثاني هذين الأساسين، فهو أن نبدأ من المكاسب التي تحققت فعلاً والتي هي في حقيقة الأمر، من إنجازات العالم الإسلامي في القرن العشرين، ومن ذلك **ميثاق منظمة المؤتمر الإسلامي، وميثاق المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، وميثاق مجمع الفقه الإسلامي الدولي، وبلاغ مكة الصادر عن مؤتمر القمة الإسلامي الثالث (١٩٨١)، وبلاغ مكة الصادر عن الدورة الثالثة الاستثنائية لمؤتمر القمة الإسلامي (٢٠٠٥)، ومن قرارات مؤتمرات القمة الإسلامية والمؤتمرات الإسلامية لوزراء الخارجية، والمؤتمرات الإسلامية المتخصصة، التي تهدف جميعها إلى تعزيز التضامن الإسلامي، وترسيخ قواعد الوحدة الإسلامية.**

❖ ❖ ❖

تحت عنوا: «التنظيم الاقليمي الإسلامي كطريق للوحدة»

كانت ورقة **الدكتور جعفر عبدالسلام** الأمين العام لرابطة الجامعات الإسلامية من مصر، طرح فيها أسئلة هامة عن ضرورة قيام تنظيمات إقليمية بين المسلمين واجاب عنها:

أولا: هل من الضروري أن يقوم «تنظيم إقليمي» بين الدول العربية والإسلامية؟

اختار العالم بعد الحرب العالمية الثانية أو قبلها بقليل أن يقيم تنظيمًا دوليًا عالميًا يتمثل في منظمة الأمم المتحدة، وعرضت فكرة «لتنظيم الإقليمي» عند مناقشة نصوص ميثاق الأمم المتحدة. وكان هناك من يرفضون الفكرة على أساس منع الازدواجية في التنظيم الدولي، وعدم إعاقة الأمم المتحدة للقيام بمهامها. ولكن انتصر دعاة الإقليمية وتضمن الميثاق مبدأ الاعتراف بالإقليمية في الباب الثامن الذي ورد فيه نص يقول: «نه لا يوجد في هذا الميثاق ما يحول دون قيام تنظيمات أو وكالات إقليمية تعالج الأمور المتعلقة بحفظ السلم والأمن الدوليين بحيث يكون العمل الإقليمي فيها صالحًا ومناسبًا، ما دامت هذه التنظيمات وأنشطتها متلائمة مع ميثاق الأمم المتحدة ومبادئها (المادة ٥٢/٢) كما أشار الميثاق إلى حث الدول الأعضاء ومجلس الأمن على اللجوء - بادئ ذي بدء - إلى المنظمات الإقليمية كخطوة أولى لحل المشكلات التي تثار بينهما.

ولا شك أن هناك روابط إقليمية خاصة تجمع بين مختلف الدول العربية والإسلامية، أكثر من تلك الموجودة بين هذه الدول وبين سائر الدول الموجودة في المجتمع الدولي. هذه الروابط تحتاج إلى أن تُفعّل في شكل تنظيمات إقليمية، بشرط أن تتوافر لديها النية والإرادة والعزيمة على إسناد اختصاصات فعلية ومعززة لهذه

التنظيمات، وأن تتوافر لديها كذلك الآليات والأجهزة لتحقيق الأمن بين جنباتها، ولتحقيق أقصى قدر من التعاون الاقتصادي والاجتماعي والثقافي وكذلك السياسي بين هذه الدول، ولحسم ما يثار بينها من منازعات، حيث يمكن أن يتم ذلك بنجاح أكثر في الدائرة الإقليمية. أما إذا لم يتوافر هذا الشرط عمليًا - كما هو الوضع القائم - فلا جدوى من هذا التنظيم الذي يؤدي إلى إنفاق المال بلا فائدة.

وأنا أرى أن الدول العربية والإسلامية لا يتوافر لديها حتى الآن الحد الأدنى لقيام التنظيم الإقليمي الفعال بينها، بسبب عدم توافر هذه الإرادة وتلك العزيمة. وأذكر هنا:

- أن الدول العربية والإسلامية تفضل أن تحل منازعتها عن طريق المنظمة الدولية وأجهزتها كمحكمة العدل الدولية، مجلس الأمن، الجمعية العامة.. والأمثلة كثيرة نذكر منها النزاع بين قطر والبحرين على اقتسام الرصيف القاري، وأيضا بين تونس وليبيا في شكل مماثل، وبين العراق وإيران حول شط العرب وغيرها.

- أن التجارة البينية بين هذه الدول لا تتعدى ١٠٪ من إجمالي تجارتها مع العالم الخارجي.

- أن أغلب الاستثمارات العربية والإسلامية وكذلك أغلب الفوائض المالية موجودة في الدول الأجنبية.

- أن الأمن الجماعي العربي لم يتحقق بشكل فعال على وجه

الإطلاق، وأن الكثير من الصراعات والنزاعات بما فيها الصراعات المسلحة (مثل الصراع العراقي الكويتي) لم يتم حسمها داخل دول المنطقة، وتم التدخل الأجنبي لحسمها، مما قوض أسس الأمن الجماعي العربي.

- أن الكثير من اتفاقيات التعاون الاقتصادي قد أُبرمت ولم يتم تنفيذها بين هذه الدول.

والخلاصة: أن العمل الإقليمي في حده الأدنى لم يقم بنجاح حتى الآن في دائرة الدول العربية والإسلامية، مع أننا نؤمن بضرورته ولو مرحلياً على الأقل، وكتمهيد لتحقيق الوحدة بين الأقطار العربية والإسلامية.

ثانيا: هل من الضروري وجود تنظيم عربي وتنظيم إسلامي في نفس الوقت؟

دون خوض في تفصيلات كثيرة، نجد أن الدول العربية كلها في منظمة المؤتمر الإسلامي، ولا يوجد – في تقديري – ما يجعل استمرار وجود الجامعة العربية إلى جانب منظمة المؤتمر الإسلامي ضرورة للأسباب الآتية:

- أن وجود المنظمتين معا يمثلان ازدواجًا في العمل وزيادة في النفقات بلا داعٍ.

- أن الأهداف والمبادئ واحدة في المنظمتين تقريبًا.

- أن القومية العربية لا تعيش بسهولة خارج الكيان الأكبر وهي مسألة ضرورية الآن.

- أن توجيه الجهد إلى منظمة إقليمية واحدة وتقويتها مسألة مُلحة وضرورية الآن.

- أن الثقافة العربية هي بلا جدال ثقافة إسلامية ولا توجد ثقافة عربية منفصلة في الإسلام.

ومن هنا أرى أن يتم دمج الجامعة العربية في منظمة المؤتمر الإسلامي لكي يمكن الاستفادة من الأرشيف المهم للجامعة، ومن المشروعات الضخمة التي بذلت في مجال توحيد التشريعات في الدول العربية، على أساس الشريعة الإسلامية، والمشروعات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية العديدة التي تصلح بأكملها للتطبيق في الدول الإسلامية.

إن العالم العربي جزء من العالم الإسلامي وسيكون من المناسب أن يتم التعبير عن الوحدة الإسلامية من خلال منظمة إقليمية قوية لا تتشتت قواها بسبب النعرات القومية التي تظهر هنا أو هناك، والإسلام استطاع أن يقود العرب والمسلمين دائما إلى طريق التقدم والرقي والوحدة.

ثالثا: ما هي خطوات الإصلاح التنظيمية الواجب إدخالها على نصوص منظمة المؤتمر الإسلامي؟

في تقديري، وانطلاقا من التجارب الناجحة للمنظمات الدولية الأخرى يجب أن يتم إدخال نصوص على ميثاق منظمة المؤتمر الإسلامي تعالج المسائل الآتية:

١ - إقامة جيش للدفاع عن الدول الإسلامية في حالة العدوان عليها

منع ميثاق الأمم المتحدة الحرب، بل نص بوضوح على منع استخدام القوة أو التهديد بها في العلاقات الدولية (المادة ٤/٢ من الميثاق)، ومع ذلك سمح الميثاق باستخدام القوة في حالتين:

الأولى: هي حالة الدفاع الشرعي الفردي أو الجماعي وفقا للمادة(٥١) من ميثاق الأمم المتحدة.

الثانية: في حالة اتخاذ تدابير للأمن الجماعي، أي استخدام قوة دولية منظمة لكبح جماح العدوان الذي تقوم به دولة ضد دولة أخرى.

وقد أعطى الميثاق لمجلس الأمن وحده حق استخدام تدابير الأمن الجماعي، إلا أنه أعطاه حق الاستعانة بالمنظمات الإقليمية للمشاركة في تنفيذ هذه التدابير.

وفي الوقت الحاضر أظهرت التجارب أنه لا مناص من وجود جيوش دفاع إقليمية؛ لأن وجودها يساعد على منع العدوان من ناحية، ولكي يمكن استخدامها لمنع العدوان من ناحية أخرى.

والواقع أن مجلس الأمن لم يعقد الاتفاقات المنصوص عليها في ميثاق الأمم المتحدة لتكوين القوات الدفاعية للعالم، بل استعان بحلف الناتو في تنفيذ الكثير من تدابير الأمن الجماعي على نحو ما رأينا في يوغوسلافيا السابقة، وعندما انتقدت الدول

الإسلامية الأمن العام لمنظمة الأمم المتحدة وقت أن اعتدى الصرب على المسلمين في البوسنة كان يصرخ سائلا: أين جيش الدفاع الإسلامي الذي يمكن أن يستخدم في الدفاع عن المسلمين في يوغوسلافيا والذين تعرضوا لموجات من القتل والتدمير وهتك العرض، وتدخل الناتو، لكن على ما يبدو بعد فوات الأوان، فقد تم تدمير وقتل واغتصاب لم يشهد التاريخ مثله من قبل.

ولو كان هناك مثل هذا الجيش في منطقتنا لتجنبت شعوبنا الكثير من الأعمال التي عانت منها ولازالت تعاني حتى الآن.

ولا شك أن اتفاقية الدفاع المشترك يمكن تبني نصوصها في تعديل ميثاق منظمة المؤتمر الإسلامي.

❖ ❖ ❖

«الوحدة هدف الأمة ووسيلتها لحشد طاقاتها» تحدث تحت هذا العنوان الإستاذ **بلال حسن التل** من الأردن عن وسائل تحقيق الوحدة ومما جاء في ورقته:

إنّنا ندعو إلى خطاب يستبدل مفردات الفرقة والتشتت والتثبيط والتشكيك بمفردات الوحدة والتحريض والصمود والمقاومة. وذلك في إطار السعي لإعادة بناء أبناء الأمة عقدياً، وتثقيفهم تثقيفاً شاملاً، وتربيتهم على مفاهيم دينهم. وفي طليعتها مفاهيم الوحدة، والانضباط، والانتاج، والتحلّي بالمناقبية الأخلاقية، التي تتجسّد بالالتزام المسلكي النابع من قيم ثقافة المقاومة التي هي في الأصل ثقافة عملية علمية تطبيقية، تسعى

لتقديم البديل الحضاري الإسلامي لكلّ مكوّنات الحياة: الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والصحية والتعليمية. لذلك فإن الأهمية القصوى يجب أن تعطى لدى المسلمين لبناء قدراتهم التقنية والتكنولوجية وأن تسعى البلاد الإسلامية إلى إقامة المؤسسات التكنولوجية في المجالات كافة، لإخراج الأمة من أسر النموذج الغربي الاستكباري الذي يحاولون إبقاء الأمة حبيسة فيه.

ولعلّ هذا هو السبب الرئيسي لثورتهم ضدّ المشروع النووي الإيراني وسعيهم الحثيث لتعطيله، حتى لا يصبح نموذجاً يُقتدى عند المسلمين. ولأنه يشكّل بوابة لخروج المسلمين من إطار التبعية للمشروع الغربي الذي يحاولون تذويبهم فيه، عبر ما يُسمّى بثقافة السلام التي ننادي بالتصدي لها، عبر ترسيخ ونشر ثقافة المقاومة، والتي نحتاج أول ما نحتاج إلى امتلاك أدواتها، وفي الطليعة منها بناء منظومة ثقافية وإعلامية إسلامية، تؤمن بالوحدة وبالمقاومة، لتتصدّى هذه المنظومة لكلّ الألسن والأقلام التي تسعى لجعل الفرقة والتّشتّت واستقلال القرار الوطني واقعاً ثابتاً، ولجعل الخيانة وجهة نظر، والعَمالة واقعية والاستسلام جنوحاً للسلم، وهذا يستدعي أيضاً تطهير مؤسسات الأمة وخاصّة الثقافية والإعلامية في بلادنا من عناصر الطابور الخامس الذي يقوم بدور المنافقين تثبيطًا لعزيمة الأمة، وشقّاً لصفها ودفْعها للاستسلام لعدوّها.

لا يفوتنا ونحن نتحدّث عن ثقافة المقاومة أن ننبّه إلى ضرورة أن نعيد للمساجد دورها في التربية والتعبئة والتحريض، لإبقاء جماهير الأمة في حالة جهوزية واستعداد لتحقيق أهداف الأمة وفي طليعتها وحدتها، وهو الهدف الذي يجب أن نحوّله إلى ثقافة يومية لجماهير الأمة، باعتبار أن الوحدة تكليف شرعي وضرورة دنيوية.

وفي هذا المجال لا بدّ من التأكيد على البُعد الوحدوي في عقيدة المسلمين وعباداتهم. فالمسلمون كلّهم يؤمنون برب واحد، وقرآن واحد، وبنبيّ واحد يحبون آل بيته على اختلاف مذاهبهم وأعراقهم ولغاتهم، كما أنهم يتجهون في صلاتهم لقبلة واحدة، ويحجّون لبيت عتيق واحد، ويصومون شهرًا واحدًا.

وهكذا نلاحظ أن عقيدة المسلمين تفرض عليهم الوحدة وأن شعائرهم إن فهموها تربيهم على الوحدة. ولذلك فإن الفهم الصحيح للإسلام من خلال الفهم السليم للنصوص وخاصة تلك التي تدعو لوحدة الصفّ والكلمة والمشاعر هي من أهم وسائل بناء الوحدة.

وهنا يبرز دور العلماء الذين آن الأوان كي يستعيدوا دورهم الحقيقي، ومكانتهم اللائقة بهم في قيادة الأمة، بأن يضربوا من أنفسهم القدوة والمثل، في تحمّل تكاليف مشروع الوحدة، وفي صياغة المشروع التربوي الثقافي الإسلامي الجديد، الذي يعيد بناء

الإنسان المسلم عبر إعادة بناء منظومته الفكرية والسلوكية، وفق القواعد الإسلامية وإقناع جموع المسلمين بأن الفُرقة هي أسس مصائبنا، ففي ظل شرذمتنا تجرّأ العدو علينا، واحتلّ بلادنا، واستباح مقدّساتنا، وتطاول على أعراضنا. غير أن هذا العدو ورغم تفرّقنا شيَعًا وأحزابًا وأوطانًا يتعامل معنا ككتلة واحدة، يرى فيها نقيضًا لأطماعه، فظلّ يسعى لتعميق فرقتنا، ولذلك فإن علينا أن نقنع جمهور المسلمين حكّامًا ومحكومين بأن الوحدة مثلما هي تكليف شرعي، فإنها ضرورة دنيوية يستطيع المسلمون من خلالها تحرير إرادتهم وبلادهم، وخاصة في فلسطين والعراق وكشمير وأفغانستان وفي كل أرض مسلمة احتُلت أو سُلبت إرادة أبنائها، ومن ثمّ وقف الهجمة على بلادهم.

وأنهم عبر وحدتهم يستطيعون التناصر لحماية وجودهم من التذويب والاقتلاع. خاصة في البلاد التي يتواجد فيها المسلمون كأقليات، لتتحول هذه الأقليات إلى آلية من آليات المسلمين للضغط على الحكومات التي تعيش في ظلّها أقليّات إسلامية لتتوقف هذه الحكومات عن مساعيها لبثّ الفرقة بين المسلمين، كما أن الوحدة تسهّل حياة الناس اليومية وتسهّل الحركة وتبادل المصالح من خلال كيان قوي قادر على حماية هذه المصالح والدفاع عنها.

❖ ❖ ❖

رئيس المركز العربي للدراسات والبحوث بمصر الدكتور **توفيق علي وهبة** قدم ورقة تحت عنوان: «موانع التقريب وكيفية مواجهتها» تحدث عن تاريخ التعصب المذهبي والموقف منه، ومما جاء فيها:

متى بدأ التعصب المذهبي؟

بدأ التعصب المذهبي في منتصف القرن السابع الهجري بعد أن مرت الأمة الإسلامية بمرحلة إزدهار وإنتشار فكري وتطور علمي هائل حيث تأسست المدارس الفقهية.

ففي القرون الستة الأولى والنصف الأول من القرن السابع كان المجال مفتوحًا لانتشار العلم والفقه, وكان الخلاف يقع بين العلماء والفقهاء بل وبين أئمة المذاهب أو بين مقلديهم بلا حرج.

ولقد ابتُليت الأمة في منتصف القرن الرابع الهجري بمقولة عقيمة حجَّمت التطور الفقهي وأوقفت العلماء عن الاجتهاد ألا وهي: غلق باب الاجتهاد بدعوى أن السلف أسسوا لنا كل ما نحتاج إليه دينيًا ودنيويًا ولم يتركوا للخلف شيئًا يبتكرونه أو يجتهدون فيه، وأصبح عمل المجتهدين هو شرح مذهب إمامهم أو اختصار كتب السابقين، وانتشر ما يعرف بشرح المتون والمختصرات والحواشي، وهكذا مما أدى إلى التأخر العلمي والفكري.

وبعد قرنين من شيوع هذه المقولة بدأ ينتشر التعصب المذهبي ودليل ذلك ما وقع بين أهل السنة نفسهم في المسائل التي أثارها إبن تيمية وكان له آراء تخالف ما كان معروفًا ومستقرًا من قبله، فخالفه جمهور المسلمين واضطهد من أجل ذلك وسجن بسبب أرائه الفقهية المخالفة.

وجرى هذا التعصب في كل المذاهب الفقهية سواء مذاهب أهل السنة أو مذاهب أهل الشيعة وغيرهم: فقد اتخذ كل جماعة مذهبًا عقائديًا أو فكريًا أو فقهيًا فاتبعوه وتعصبوا له، واعتبروا أن ما عداه باطلا.

وهكذا أصبحت المذاهب العقائدية والفقهية وسيلة للتفرقة بعد أن كانت مدارس فقهية عظيمة أمدت الفكر الإسلامي بمعين من العلم لا ينضب.

وأصبح المذهب دينًا عند أتباعه, وأصبحت مخالفته كفرًا وفسوقًا وأصبح السني يكفر الشيعي والشيعي يكفر السني, بل أصبحت مذاهب السنة ينعت بعضها بعضا بالضلال والكفر والفسوق، حتى وصل الأمر إلى أنهم لا يصلون إلا خلف من تبع مذهبهم, وكانت تقام في المساجد الكبرى في مكة المكرمة والمدينة المنورة والقاهرة ودمشق وغيرها جماعة لكل مذهب, وكانوا لا يزوجون بعضهم بعضا بزعم أن الحنفي ليس كفؤا للشافعية والشافعي ليس كفؤا للمالكية, والحنبلي ليس كفؤا لصاحبة المذهب المغاير.. وهكذا.

بل كان أتباع بعض المذاهب يقفون مع المستعمر لينصرهم على أتباع المذهب الآخر بعد أن يصبح صاحب السلطة في البلاد، وبعد انتصاره ينقلب عليهم جميعًا.

الآثار السيئة للخلافات المذهبية قديمًا وحديثًا :

١ - سئل بعض المتعصبين من الشافعية عن حكم الطعام الذي وقعت عليه قطرة نبيذ، فقال عفا الله عنه: يرمى لكلب أو حنفي.

٢ - ويقابله قول متعصب آخر حنفي لمن سأله:

هل يجوز للحنفي أن يتزوج المرأة الشافعية ؟

فقال: إن ذلك لا يجوز لأنها تشك فى إيمانها، والإيمان لا يصح إلا إذا كان مقطوعًا به.

ويفتى حنفي آخر بأنه يجوز للحنفي أن يتزوج الشافعية، لا على أنها مؤمنة بل بقياسها على الكتابية (اليهودية أو النصرانية) التى تجوز للمسلم بالاتفاق.

موقف العلماء من هذه المخالفات:

أولاً : رأي الإمام جعفر الصادق عليه السلام :

قال عليه السلام التمس لأخيك من عذر إلى سبعين فإن لم تجد فقل: ربما له عذر لا أعرفه.

ثانياً: رأي عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه:

كان عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه يقول: ما سرني أن

أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يختلفوا، لأنهم إذا إجتمعوا على قول فخالفهم رجل كان ضالاً وإذا اختلفوا فأخذ رجل يقول هذا ورجل يقول هذا كان فى الأمر سعة.

ولذلك قال بعض العلماء: اجماعهم حجة قاطعة وإختلافهم رحمة واسعة.

ثالثاً : الإمام محمد عبده:

قال رحمه الله في تفسير المنار: ومن آيات العبر فى هذا المقام أننا نجد فى كلام كثير من علمائنا هدى ونورًا, ولو اتبعته الأمة لاستقامت على الطريق, وخرجت من مضيق الخلاف والشقاق إلى ساحة الوحدة والاتفاق.

والسبب فى بقاء قوة سلطان الخلاف والنزاع هو فشو الجهل, وتعصب أهل الجاه من العلماء لمذاهبهم التي ينتسبون إليها, وبجاهها يعيشون ويكرمون وتأييد الأمراء والسلاطين لهم استعانة بهم على إخضاع العامة, وقطع طريق الاستقلال العقلي على الأمة. لأن هذا أعون لهم على الاستبداد, وأشد تمكينا لهم مما يحبون من الفساد والإفساد.

فاتفاق كلمة علماء الأمة واجتماعها على أن الحق كذا, بدليل كذا ملزم للحاكم بإتباعهم فيه، لأن الخواص إذا اتحدوا اتبعهم العوام، وهذه هى الوسيلة الوحيدة لمنع استبداد الحكام.

فالدين يأمر برفع الشقاق والتنازع, وبالاعتصام بحبل الوحدة,

وهذا هو معنى قوله تعالى: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا﴾ وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ولا تنازعوا فتفشلوا﴾ وقول النبي صلى الله عليه وسلم: «لا ترجعوا بعدي كفارًا، يضرب بعضكم أعناق بعض».

وقد خالفنا كل هذه النصوص فتفرقنا وتنازعنا، وحارب بعضنا بعضا بإسم الدين، لأننا سلكنا مذاهب متفرقة، كل فريق يتعصب لمذهبه، ويعادي سائر إخوانه المسلمين لأجله، زاعمًا أنه بهذا ينتصر الدين مع أنه يخذله بتفريق كلمة المسلمين. هذا سني يقاتل شيعيًا، وهذا شيعي يحارب إباضيا، وهذا شافعي يغري التتار بحنفي، وهذا حنفي يقيس الشافعية على الذمية.

❖ ❖ ❖

الدكتور **خالد الزهري** من المغرب قدم ورقة تحت عنوان «عقبات التقريب ودور ميثاق الوحدة في رفعها وتثبيت أدب الخلاف» وجاء فيها:

إن البحث العلمي يستلزم النظر في حقائق الأشياء، لا في مظاهرها، والرجوع إلى مصادرها، لا إيقاف النظر عند حدود الغبار الحاجب للبصر عن الرؤية الواضحة، وللبصيرة عن الإدراك السليم.

من هنا، يكون لزامًا علينا؛ في الدعوة إلى التقريب بين أهل السنة والشيعة الإمامية؛ أن نضع نصب أعيننا خمسة أمور:

الأمر الأول: أن الدعوة، التي ندعو إليها هي الدعوة إلى

«التقريـــب»، لا «الوحـــدة»، لأن مجـــال التقريـــب، هـــو الأصـــول المعتمدة، لدى كل الطوائف الإسلامية، من حيث تحديد الأصول المتفق عليها والمختلف فيها. إذ ليس هناك أصول واحدة مطلقة، تفـرض مطلـب الوحـدة، لأن وجـود أصـول مختلـف فيهـا، يجعـل «دعـوى التقريـب» أقـرب إلى الواقعيـة والموضـوعية مـن «دعـوى الوحـدة»، الـتي قـد تعـني، أن يـذوب الشـيعي في السـني، أو يـذوب السـني في الشـيعي، وهـذا مطلـب عسـير، بـل متعـذر، إلا أن تكـون الوحـــدة بمعنـــى «الوحـــدة في الأهـــداف، والغايـــات، والمقاصـــد، والأصـول، والاعتقـادات». أمـا الوسـائل والمنـاهج، فنتركهـا للأفـراد والجماعـات والـدول، لتختارهـا، كـلا حسـب ظروفهـا، وقـدراتها، ومرحلة تطورها"، فلا مشاحة؛ حينئذ؛ في إطلاق المصطلحات.

وبذلـك، تكـون عبـارة «الوحـدة الإسـلامية» المسـتعملة في **ميثـاق الوحدة الإسلامية**، لا غبار عليهـا، وسـليمة، مـن حيث دلالتهـا علـى الوحدة في الهدف، كما هو معبر عنه في الديباجة...

الأمر الثاني: أن تكون كل المذاهب الإسلامية، تعمـل بالإسـلام، بمقتضـى التعريـف الأصـيل لـه، كمـا جـاء في الكتـاب والسـنة، وهـو التعريـف، الـذي أعطـاه البنـد الأول، مـن أسـس **ميثـاق الوحـدة الإسلامية**

ولـذا، جعلـه **ميثـاق الوحـدة الإسـلامية**، مـن الخطـوات العامـة، الواجب اقتفاء أثرها، لتحقيق التقارب والوحدة.

الأمر الثالث: أن وحدة الأمة أولى من فرقتها، وذلك للمقصد المذكور في البند الخامس، من أسس **ميثاق الوحدة الإسلامية**.

الأمر الرابع: أن سيرة أئمة المذاهب الإسلامية، كانت نموذجًا رائعا للوحدة الإسلامية، وتعاملهم "فيما بينهم، مثال رائع على هذه الحقيقة"، حيث اتخذت الخلافات الفقهية؛ عندهم وعند من تبعهم بإحسان؛ مسارًا إيجابيًا، فكانت ظاهرة صحية، أغنت وأخصبت تربة الفكر الإسلامي، ونوَّعت تراثه، فكان الاختلافُ اختلافَ تنوُّع في إطار إسلامي واحد.

وبذلك، قدَّم الأئمة، أروع صور منطقية، وربوا أتباعهم عليها"...

الأمر الخامس: أن نجيل النظر في مقولات القوم، لا فيما قيل فيهم، وأن نتصل مباشرة بتراثهم لا بالتقييمات المسجلة عن هذا التراث، والأحكام المصوبة نحوه..

ولا جرم أن هذا هو المنهج الإسلامي، في دراسة الأفكار، والبحث عن الحقائق. يقول القرآن الكريم: ﴿فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، أولئك الذين هداهم الله، وأولئك هم أولوا الألباب﴾، يقول الإمام الزمخشري، في تفسير هذه الآية: "وأراد أن يكونوا نُقَّادا في الدين، يميزون بين الحسن والأحسن، والفاضل والأفضل. فإذا اعترضهم أمران: واجب وندب، اختاروا الواجب، وكذلك المباح والندب، حراصًا على ما هو أقرب عند الله

وأكثر ثوابًا. ويدخل تحته المذاهب، واختيار أثبتها على السبك، وأقواها عند السير، وأبينها دليلا أو أمارة، وأن لا تكون في مذهبك كما قال القائل: «ولا تكن مثل عير قُيِّدَ فانقادا»، يريد: المقلد".

ولذا، قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) : «كفى بالمرء كذبًا أن يحدّث بكل ما سمع».

❖ ❖ ❖

ومن المغرب أيضا تحدث الأستاذ **عبدالحق عزوزي** عن «الاجتهاد والتحديث والوحدة الإسلامية» وبشأن الفرق بين الاجتهاد والتحديث قال:

أظن أن الكلمتين لهما علاقة وثيقة ومتشابكة، إذا أريد بكلمة التحديث التجديد والإبداع والسهر على بلوغ درجات عالية من التقدم في مجالات الحياة ومختلف فروعها، والاجتهاد هو البوابة إلى الانتقال المحمود من مرحلة إلى أخرى، يحقق فيها الإنسان أمانيه وأشواقه.

والاجتهاد كما عرفه ابن حزم: «هو استنفاد الطاقة في حكم النازلة حيث يوجد ذلك الحكم، لأن أحكام الشريعة كلها متيقن أن الله تعالى قد بيّنها بلا خلاف، وهي مضمونة الوجود لعامة العلماء، وإن تعذر وجود بعضها على بعض الناس، فمحال ممتنع أن يتعذر وجوده على كلهم، لأن الله تعالى لا يكلفنا إلا ما في وسعنا، وما تعذر وجوده على الكل، فلم يكلفنا الله تعالى به»...

إجمالا، الاجتهاد الذي نصبو إليه هو ذلك الذي يبحث في مصالح العباد الآنية والمستقبلية وهو الذي يخلق حصنًا منيعًا لكل المصالح (والمصلحة كما اتفق عليه جمهور الفقهاء معتبرة في الفقه الإسلامي وكل مصلحة كما كتبه العلامة محمد أبو زهرة أصول يجب الأخذ بها، ما دامت ليست شهوة ولا هوى ولا معارضة فيها للنصوص تكون مناهضة لمقاصد الشريعة)، ويكون النبراس الذي يضيء كل المجتمع ويقدم الحلول لكل المشكلات من منظور واقعي، شمولي، متأن، صائب ولكن من منطلق روح الشريعة الإسلامية السمحاء، ما دام يقوم بتحريك النص الثابت على الواقع المتغير لإنزال حكم النص على هذا الواقع وبذلك يكون الاجتهاد تجديدًا بالمعنى العميق والحقيقي.

بناءا على ذلك يمكن أن نفهم الترابط بين الاجتهاد والتحديث: فالتحديث هو صيغة مبالغة للحداثة أي تفعيلها بجعل الشيء حداثيًا، وهذا اللفظ له استعمال حديث في المفهوم العربي، إذ لم يكن من الألفاظ التي استعملت في عصر الانبعاث واليقظة والنهضة الذي يبدأ من منتصف القرن التاسع عشر الميلادي، وإنما استعملت كلمات مثل: «التجديد» الذي يمكن أن نجد له جذورا في التراث الديني وكلمات مثل «التطور» المستمدة من نظرية النشوء والارتقاء.

❖ ❖ ❖

الدكتور **عبدالرحيم السايح** استاذ العقيدة والفلسفة تحدث تحت عنوان: «التطلعات المنظورة لوحدة الامة»، ومما جاء في كلمته بشأن مقتضيات مواجهة التحديات والمستجدات:

ما تواجهه مجتمعات المسلمين من تحديات ومستجدات يقتضى:

أولا: أن نعمل على جمع الكلمة، ورص الصفوف.

ثانياً: أن نتصدى لدعاة الخلاف والاختلاف من الجهلة، وعلماء السوء، وعملاء المذاهب الهدامة.

ثالثاً: أن نتجه لبناء مجتمعاتنا بالأخلاق الفاضلة، والمودة الواصلة.

وإذا كان العصر الذى نعيش فيه. هو عصر العلاقات الإنسانية، والتعايش السلمي، الذي لا يتطلب مواطنًا أصح، وأصلح من الإنسان الذى يعمل على مصلحة الآخرين، فإن الذي لاشك فيه: أن هذا العصر سوف تسعده إسهامات المسلمين فى بناء وحدتهم والعمل على وحدة صفوفهم، بما يحقق أهداف المجتمع الإسلامي، ويقيم موازين القسط للتعايش السلمي، والارتقاء بمنهج التكافل الاجتماعي، والخلقي...

ولا شك أن الدعوة إلى الوحدة الإسلامية، والإخاء الإسلامي سمة من سمات المجتمع الإسلامي الأصيل الذي يخطو على مجد الأئمة لينير الطريق، ويضع العلامات المضيئة للسائرين.

وبجانب ما للأمة الإسلامية من مبادئ، وأصول، وقواعد وتعاليم تعمل على وحدة المجتمعات الإسلامية فإن هذه المجتمعات لها منطقة جغرافية تمتد من المحيط الباسيفيكي شرقًا إلى المحيط الأطلسي غربًا مجتازة جاليات ودولا إسلامية ذوات طاقات بشرية واقتصادية وعقلية، وحضارية لا حدود لها، ومنطقة المجتمعات الإسلامية تتميز بأنها:

١ - تمتلك من شواطئ البحار الكبيرة والصغيرة، ما يمكنها من الإشراف على عدد كبير من أعظم موانئ العالم، كما بها من الأنهار ما يجعلها من أخصب المناطق وأكثرها إزدهارًا ونماء.

٢ - وأن فيها من موارد غنية كالماء والنفط والمعادن والحاصلات الزراعية والحيوانية ما يمكنها من إغناء الإنسانية واستتباب الأمن وزيادة الرخاء.

وتلك أمور تجعل دول وشعوب الأمة الإسلامية: قوة مرهوبة الجانب، مخطوبة الود، يتهيّب العدوّ بأسها، ويخشى سلطانها.

ولكن هذا لا يتم إلا فى ظل وحدة دول وشعوب الأمة الإسلامية.

وإذا كانت الدول الواعية تعمل على وحدة شعوبها إقتصاديًا وسياسيًا، فإن المجتمعات الإسلامية أولى الناس بالوحدة، لأنها تملك الأصول الراسخة التى تقوم الوحدة على أساسها.

وإذا كانت مجموعة الدول الأوروبية سعت لأن تكون لها

وحدتها المتميزة، اقتصاديًا وسياسيًا ونقديًا، أفلا يجدر بدول الأمة الإسلامية أن تقيم وحدتها الاقتصادية والسياسية والفكرية، بجانب مالها من وحدة العقيدة، والشريعة، والعبادات، والأخلاق والمبادئ ؟؟..

إن قيام الوحدة الإسلامية بين دول وشعوب الأمة الإسلامية. يجعل الأمة لا ترضى أن تكون مقودة بغير قيادة إيمان، ويجعل الأمة فى (وحدتها الإسلامية العملية) لا تعترف بتسليم قيادة البشرية لأيد إرهابية، لا تعرف معنى الإصلاح، ولا تفكر في الخير.

وإذا كانت الشعوب والمجتمعات الإسلامية. تتطلع إلى وحدة إسلامية، بعد أن ذاقت مرارة التمزق، والتفرق، وبعد أن عاش بعضها فى تبعية قاتلة للشخصية، وبعد أن قادتها بعض الأحزاب إلى الهاوية، فإن هذا التطلع من شعوب ومجتمعات الأمة الإسلامية يضع أمام العلماء والمصلحين مستلزمات كبيرة تجعلهم يسهرون ليل نهار لوضع المبادئ والقواعد والأسس التي تتوافر لقيام وحدة إسلامية، تجمع دول وشعوب الأمة الإسلامية فى سياسة واحدة وإقتصاد واحد يوفر للأمة ما يؤهلها للانطلاق نحو التطلع الواعي.

ولذلك كان **ميثاق الوحدة الإسلامية**، جدير بالاهتمام والتأييد. لأنه يجعل الوحدة النظرية تلتقى مع الوحدة العملية.

وقد لا يكون المرء بعيدًا عن الصواب إذا أدرك أن قيام العلماء والمصلحين بمسئولياتهم في ترتيب الأمور، ووضع القواعد، والمبادئ،

سوف يمكّن قادة المجتمعات والشعوب الإسلامية من العمل على قيام (الوحدة الإسلامية) والسياسية والاقتصادية عمليًا.

ولاشك، أن هذا طريق يحتاج إلى جهود المخلصين من الحريصين على مصالح الأمة الإسلامية الذين يعملون على أن تكون الوحدة الإسلامية تطبيقًا عمليًا وسلوكًا حيًا ملموسًا فى الحياة.

❖ ❖ ❖

الدكتورة **عفاف الحكيم** من لبنان قدمت ورقة عالجت فيها دور الإعلام في نشر ثقافة الوحدة، ومما جاء فيها:

من البديهي القول إن المسيطرين على الإعلام العالمي اليوم على اختلاف منابره يسعون بكل ما أوتوا من قوة لإبقاء الأمة الإسلامية في حالة الضعف والضياع والانقسام التي عملوا لها طويلاً عبر أهداف واستراتيجيات بعيدة الأمد ..

فطوال فترة احتلالهم لبلادنا عملوا على إنشاء النظم السياسية والأجهزة التشريعية والمؤسسات التعليمية والإعلامية على النمط الغربي .. ومن ثم اتجهوا لاستبدال الاستعمار العسكري بالاستعمار الثقافي والفكري . باعتبار أن الأول ينتهي برحيل العسكر . وأما الثاني فتبقى له الديمومة والاستمرارية التي تؤسس لاستيعاب الشعوب في منهج الثقافة الغربية .. ولقد كان من أخطر ما فعلوه هو زرع بزور التفرقة بين المسلمين والعمل

على إحباط كل مسعى يؤسس لنهوض الأمة وتقدمها إضافة إلى الانحياز التام ضد أي فكرة إسلامية صحيحة تبعث العافية الجسد الواحد ...

والخلاصة أن الغرب استطاع في أيامنا أن يحقق ما يريده وأن يقطف ثماره من خلال الإعلام الموجه وفضائياته ..

لقد حقق ومن دون مقاومة ما لم يستطع تحقيقه طوال الحقبات الماضية من تدمير لأخلاق المسلمين والقضاء على مثلهم وقيمهم . حتى باتت أمنية الأسرة المسلمة أن تجلس أمام الشاشة الصغيرة وهي مطمئنة لمستقبل أطفالها، بعد أن فقدت الأمل بعملية ترشيد هذه الوسائل وتنقيتها من كل ما يخدش الكرامة من البرامج المستوردة والرديئة ...

دور الإعلام الإسلامي في نشر ثقافة الوحدة:

إن واقع العجز العربي والوهن الإسلامي والمكر العالمي فتح الباب على مصراعيه لمخططات العدو التي باتت لا ترى عائقًا يحول دون إكمالها لبسط نفوذها سوى الإسلام ..

وإنه في الوقت الذي يؤلمنا ويقلقنا واقع التجزئة الذي تعيشه الأمة .. إلا أننا نتطلع إلى المستقبل بعين الثقة وعليه فإن الجميع مطالب بتقديم كل ما يستطيع من أجل تثبيت دعائم الفكر الإسلامي الأصيل ونشر وتعزيز ثقافة الوحدة في مجتمعاتنا، مع

سعي مركز لجهة ترشيد وتنظيم الإعلام في بلادنا . الإعلام اليوم عصب الحياة بإمكانه أن يلعب دوراً فاعلاً وكبيراً في بلورة وصقل وتمتين نظمنا الثقافية والتربوية وفي عملية جمع شمل المسلمين وتوحيد كلمتهم . وكمثال لعملية جذب الأمة يمكن الالتفات إلى المقاومة الإسلامية الباسلة على أرض فلسطين ولبنان حيث العدو المشترك هو الصهيونية العالمية والشيطان الأكبر أمريكا .

فقضية فلسطين والمقاومة على أرضها وأرض لبنان هما اليوم في وجدان كل مسلم يشعر بانتمائه لهذه الأمة وينبض قلبه بالإيمان الصادق ويجيش صدره بعزة الإسلام .

❖ ❖ ❖

الأستاذ **علي بن مبارك** الأستاذ الجامعي من تونس بحث في الدلالات والمرجعيات والصعوبات والآفاق في قضايا الاختلافات، وعن حق الاختلاف باعتباره يضمن كرامة الانسان والانفتاح على الآخر قال:

يعتبر القرآن الاختلاف حقيقة إنسانية وحاجة طبيعية لا يمكن قمعها، وعلى هذا الأساس خلق الله البشر في ألسن وثقافات وجنسيات مختلفة وفي هذا الإطار يمكن لنا أن نفهم - على سبيل التأويل -دعوة القرآن ﴿ يا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ

عَندَ ٱللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾. ولذلك بيّن القرآن أنّ الإنسان أدرك منذ أن أوجده الله على وجه الأرض أهمية الحوار مع الآخرين من أبناء الملّة الإسلامية أو غيرهم من اتباع الملل الأخرى إذ ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَابَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلاَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ﴾ ونستنتج من خلال هذه الآية القرآنية أنّ البشر وإن اختلفت معتقداتهم وثقافاتهم ومذاهبهم فإنهم متقاربون في الأسس الرمزية وفي قيمهم الإنسانية النبيلة. وهذا يعني أنّ مشروعية الحوار بين المجموعات الإسلامية المتعددة تكمن أساسًا في البحث عن القيم الدينية الأصيلة، التي أرسلها الله رحمة للعباد، فهجرها البعض تشبثًا بالفروع وربّما بفروع الفروع. فالحوار بهذا المعنى بحث في الأصول المغيّبة والرّجوع إلى ينابيع الدين الأصيلة وهذا ما تؤكّده معاجم اللغة ، فابن منظور يرى أنّ أصل مادة "حوار" يعود إلى الحَور أي الرجوع عن الشيء وإليه ، وحاورته يعني في اللّغة راجعته الكلام.

وهذا يعني أنّ الاختلاف في المذهب والرأي لا يلغي الوحدة بين المسلمين بل ربّما يدعّمها، إذ أنّ إختلاف المسلمين في توحّدهم، وتوحّدهم في اختلافهم .ولذلك اعتبر القرآن الاختلاف آية من آيات الخالق فجاء فيه ما يؤكّد ذلك ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلأَرْضِ وَٱخْتِلاَفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لآيَاتٍ

لِّلْعَالَمِينَ " وإذا كان القرآن قد أقرّ بأنّه " وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ فإنّه لا مبرّر أن نرفض حق الاختلاف وأن نصرّ على امتلاك الحقيقة الدينية دون غيرنا من المنظومات والمقاربات. و﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴾ . ولذلك خلقهم الله متباينين في رؤاهم وتصوّراتهم وهو ما يجسّده نصّ الآية التالية ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَـٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَآ آتَاكُم فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ إِلَىٰ الله مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾.

القرآن أكّد إذن على مشروعية الاختلاف ووجوبه، باعتباره سنّة من سنن الكون وآية من آيات الخالق ...

❖ ❖ ❖

وفي مجالات التقارب قدم الباحث العراقي الأستاذ الدكتور **محسن عبدالحميد** بحثاً جاء فيه:

لقد آن الأوان أن يعالج المسلمون هذه المأساة التاريخية، فيبدأون بداية حازمة لرسم ملامح الوحدة الإسلامية الحقيقية، وركائز تلك الوحدة موجودة والحمد لله.

أما في عالم العقيدة فلقد أجمع المسلمون على أن أصول العقيدة الإسلامية ، التي هي مواضع الشدّ ومفاصل المسؤولية الكبرى أمام الله سبحانه وتعالى مبينة في القرآن الكريم بأدلتها

البرهانية، بيانًا شافيًا جامعًا مانعًا.

والمسلمون متفقون جميعهم على أن تلك العقائد تشمل الإيمان بوجود الله سبحانه وتعالى ووحدانيته وأحديته وأسماءه الحسنى، وأنه يتصف بصفات الكمال، ويتنزه عن صفات النقص، وأنه هو المعبود بالحق، ولا معبود بالحق سواه، له الخلق والأمر والحكم، وأنه خلق الكون مافيه ومن فيه من العدم، وأنه كما بدأ الخلق يعيده وإليه المصير.

وكذلك تشمل الإيمان بالأنبياء جميعًا وبختم النبوة والرسالة بمحمد صلى الله عليه وسلم، كما تشمل الإيمان بالقضاء والقدر دون الدخول في التفاصيل، وكذلك الإيمان باليوم الآخر وما فيه من ثواب في الجنة للطائعين وجزاء في جهنم للعاصين، ومثل ذلك كل ماثبت بالضرورة في دين الإسلام..

وأما قضايا الجبر والاختيار، وأفعال العباد، ومرتكب الكبيرة، والتوسل بأحد من خلقه، ومسائل خلق القرآن، ورؤية الله تعالى في الآخرة، وتفسير آيات الصفات الإلهية الموهمة لمشابهة خلقه، وعذاب القبر، فهذه مسائل فرعية اختلف حولها المسلمون نتيجة للمناقشات الكلامية التي دخلت في المجتمع الإسلامي، والتي أثارها لاهوتيو ومتفلسفة اليهود والنصارى والتي انتهت إلى علم الكلام ومسائله النظرية التي أشغلت المسلمين بالجدال العقيم قرونًا من الزمان، ونشرت بينهم الفرقة والقطيعة التي أدت في

بعض الأحيان إلى صراع فكري حاد، بل وسفك للدماء بلا أية ضرورة من ضرورات تثبيت الدين الذي لا إكراه فيه أصلا.

ونحن اليوم عندما نستعرض هذا التاريخ المؤلم نرى أننا في غنى عن الولوج فيه وفي مسائله ومناقشاته وصراعاته التي ألحقت بالمسلمين هزائم منكرة أمام الأعداء، وإبعدتهم عن صفاء العقيدة الإسلامية، فحكم بعضهم على بعض بالكفر والفسق والضلالة، ومازالت ذيولها تتحكم فينا وتدمر بلادنا وتنشر الدماء والخراب بين صفوفنا، وتسيء إلى سمعة الإسلام في العالم إساءة بالغة.

إن الفلسفات الحديثة التي توجه الحضارة المعاصرة، لا تناقشنا في تفسيرات ما سميت بفروع العقيدة، وانما هي تنكر وجود الله فضلا عن صفاته، وتنكر النبوة واليوم الآخر وكل ما جاء به الدين الحق.

فمواقفنا اليوم غير مواقف أسلافنا بالأمس، ومناقشاتنا تخص مناهج تختلف عن المناهج الذي تحرك في ضوئها السابقون من علماء هذه الأمة في فترات تاريخنا.

ومجمل الكلام، ونحن نبحث اليوم عن مجالات التقارب بين المذاهب الإسلامية، أن ما حدث في تاريخنا، وجوه في أحسن الأقوال، لاجتهادات فرضتها الظروف وفهمناها لأجيالنا الجديدة، حينئذ تتحقق الوحدة العقيدية التي تشكل الأساس المتين لوحدة الأمة، في ظل منهج الانتقال من حقائق الوحي الإلهي إلى العصر

الحديث ومعالجة مشكلاتنا الفكرية في ضوئه.

وقد يقول قائل: ان مجموعات من المسلمين يرجعون إلى التاريخ، فينقلون لنا هذه الاختلافات المذهبية والطائفية والسياسية في فروع العقيدة وغيرها، ويديرون حولها صراعات جديدة تؤدي إلى التباعد والفرقة بين المسلمين، بل ينتقل الأمر أحيانًا إلى الآخرين، فيشتد الصراع وينتقل إلى سفك دماء عشرات الألوف من الآمنين كما وقع في العراق ويقع اليوم من القتل الفردي والجماعي والاختطاف وتهجير عشرات الألوف من العوائل.

نقول نعم هذه المشاهد موجودة تنفخ في تأجيج نارها جهات معروفة من المسلمين وأعدائهم، يحققون بها مصالحهم ومصالح المخابرات الأجنبية في الدول المعادية، يستغلون فيها جهل الناس وينشرون بينهم الحقد والكراهية.

وهنا تقع على عقلاء المسلمين من السياسيين والعلماء ودعاة الحق فيهم مسؤولية كبيرة، باعادة اللحمة ونشر المحبة وترسيخ مبدأ التوازن والعيش المشترك، وتذكير الأمة بأصول عقيدتها، وعقد المؤتمرات والندوات وتسخير قنوات الإعلام المتنوعة لتثقيف أبناء لأمة وتربية اجيالها من جديد، وابعاد مؤسسات التربية والتعليم عن تقديم تلك الخلافات الفرعية، والتركيز على الأصول الجوهرية التي تعيد بناء الأمة من جديد، ولا شك أن

أجهزة التربية والتعليم عليها واجب عظيم في تخفيف التعصب وإثارة الأحقاد عن طريق وضع المناهج السديدة التي تبعد الأجيال الجديدة من الانحرافات والتشدد والتشنج والعنف، وتذكرهم دائما أنهم أبناء دين واحد وحضارة واحدة ومستقبل واحد.

وإذا انتقلنا إلى الفقه الإسلامي نجده وجوها اجتهادية لتفسير القرآن الكريم والسنة النبوية في اطار الأصول والقواعد والمقاصد والمآلات التي من خلالها انزل مجتهدو الإسلام تلك النصوص على الحوادث المستجدة، حتى تبقى الشريعة الإسلامية خالدة تحقق مصالح العباد في كل زمان ومكان.

والاختلاف في مسائل الفقه أقل خطرًا من الاختلاف في تأويلات أصول العقائد، لان تلك الاصول تدور في عالم الغيب، ليس للعقل فيها مدرك، فتأويلاتها أشد دفعًا للإنسان إلى بؤرة الصراع باعتبار أنها هي المنطلق عد كثير من الناس لفهم الدين وإصدار أحكام الولاء والبراء، بينما الاختلافات الفقهية تجري في عالم الشهادة، وهي في الحقيقة اوجه للتنوع تشكل خصوبة كبيرة تقدم حلولا واقعية لمشكلات الحياة الإنسانية بله الإسلامية.

نعم لا بد للمسلمين ان يفهموا هذا التنوع باعتباره مظهرًا رائعًا لخلود الشريعة الإسلامية، فيبتعدوا عن التعصب والانغلاق. والحق أن حياتنا الحضارية المعقدة تتطلب عدم الوقوف عد حدود مذهب واحد، لأن المجتهد يحتاج إلى المقارنات الفقهية كي

يستخلص الرأي السديد المنسجم مع المشكلة المعروضة. ومن هنا فان مناهج تدريس الفقه في الجامعات والمؤسسات الإسلامية وحوزاتها العلمية، لابد ان تعتمد على المقارنة بين المذاهب الفقهية، حتى يطلع طلاب العلم على ادلة الاجتهادات المذهبية فتتكون عندهم عقلية متسامحة مرنة تبعد الأجيال عن التعصب للمذهب الواحدة حتى لو التزم به، وعد المذاهب كلها مذاهب إسلامية مستنبطة من الاصول الشرعية ومقاصدها النبيلة ومآلاتها المعتبرة.

وإذا انتقلنا إلى دائرة الاخلاق الإسلامية المتنوعة المعروضة بتفاصيلها في الكتاب والسنة نجد أنها أخلاق خالدة ترتبط بأعماق الفطرة الإنسانية، ولا علاقة لها بتغير الزمان والمكان لأنها منبثقة من أسماء الله الحسنى، وردت واضحة صريحة في القرآن الكريم.

فللإنسان نصيب من تلك الاسماء المباركة في دائرة البشرية. والمسلمون مجمعون على تلك الأخلاق والقيم الإلهية الرفيعة، وهي ليست نسبية، كما يعتقد أهل المبادئ المادية الحديثة.

إن تلك القيم الخلقية إذا اتسقت في حزمة واحدة، غير منفصلة، ولم تتبعثر حسب الاهواء واجتهادات أعراف الزمان والمكان، تؤتي أكلها في كل حين من اجل توجيه المجتمع توجيهًا واحدًا في بناء حضارته المتزنة القائمة على الحق والعدل والقسطاس المستقيم.

والتاريخ الإسلامي يشهد أن تلك الأخلاق الربانية السامية كانت موجهة إلى المسلمين وغير المسلمين، بعكس الحضارة المادية التي بعثرت تلك القيم ، فهي تعمل بها في بلادها وتدوسه بالأقدام في البلاد الأخرى، ولا سيما في المستعمرات.

❖ ❖ ❖

الدكتور **محمد البشاري** أمين عام المؤتمر الإسلامي الأوربي - رئيس الفيدرالية العامة لمسلمي فرنسا كان هاجسه الأول، وهو مسلم يعيش في اوربا، قضية الوسطية، وفي هذا الشأن قدم بحثًا جاء فيه:

إذا كانت هذه الأمة تعرف بالقرآن، وإذا كان القرآن الكريم يقول: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً﴾، البقرة/١٤٣، فهذا إثبات معنوي على أن هناك إشكال كبير في واقع الوسطية اليوم في العالم الإسلامي، إذا أخذنا بعين الاعتبار حجم الجماعات المتشددة، وأيضا، من جهة أخرى، حجم التيارات الفكرية التي تريد نزع القداسة عن الدين وعن القرآن الكريم، وفصل الدين والقيم الإسلامية عن الدولة.

هناك إجماع عند علماء الأمة على أن الوسطية تعتبر من الخصائص العامة للإسلام، وهي إحدى المعالم الأساسية التي ميز الله بها أمته عن غيرها، فهي أمة العدل والاعتدال، التي تشهد في

الدنيا والآخرة على كل انحراف يمينًا أو شمالا عن خط الوسط المستقيم. والنصوص الإسلامية تدعو إلى الاعتدال، وتحذر من التطرف، الذي يعبر عنه الشرع بعدة ألفاظ منها: «الغلو» و«التشدد». وقد قاوم النبي (صلى الله عليه وسلم) كل اتجاه ينجر إلى الغلو في التدين، وأنكر على من بالغ من أصحابه في التعبد والتقشف، مبالغة تخرجه عن حد الاعتدال الذي جاء به الإسلام، ووازن به بين الروحية والمادية، ووفق بفضله بين الدين والدنيا، وبين حظ النفس من الحياة وحق الرب في العبادة، والتي خلق من أجلها الإنسان.

لقد أنكر القرآن على أصحاب هذه النزعة في تحريم الطيبات والزينة التي أخرج الله لعباده، فقال تعالى في القرآن: ﴿يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين﴾.. ﴿قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون﴾. الأعراف : ٣١ – ٣٢.

وفي إطار تفعيل مبدأ "نشر مذهب الوسطية بشتى الوسائل"، كما تؤكد على ذلك الوثيقة التقديمية التي توصلنا بها للمشاركة في اعمال هذا الملتقى، يمكننا أن ندرج مثالاً واقعياً، عرفته القارة الأوروبية مؤخرًا، عندما وقعت ١٦ منظمة إسلامية في

هولندا على وثيقة "الاحترام والتسامح" التي وجهها مثقفون هولنديون لكافة فئات المجتمع الهولندي، حيث دعت تلك المنظمات الأقلية المسلمة إلى عدم الرد "بتهور" على استفزازات النائب البرلماني المتطرف "جيرت فيلدرز" جراء إنتاجه فيلمًا مسيئًا عن القرآن الكريم.

وقد وصف كل من مجلس ممثلي المسلمين لدى الحكومة، ومجلس مجموعة الإسلام، ما يقوم به فيلدرز بأنه "استفزاز واضح لمشاعر المسلمين وطريق لجذب الشباب إلى التطرف، وضرب لمشاريع الحكومة الداعية إلى مقاومة التطرف". غير أنهما شدّدا في الوقت نفسه على أن "هذا الاستفزاز لا يبرر الدعوة لأي مظهر من مظاهر العنف في الرد على الإساءة".

وبدورها، حذرت جمعية الأئمة في هولندا "المسلمين من القيام بردود أفعال سلبية تعود بالضرر عليهم، وعلى المجتمع عمومًا"، معتبرة "أن أي رد فعل عنيف يخدم العدو، ويصب في نفس الهدف الذي يريده فيلدرز نفسه، وهو زرع فتيل الصراع بين أفراد المجتمع".

هذا نموذج عملي في الحرص على عدم تشويه صورة المسلمين، وفي عدم إعطاء الآخر أي فرصة لاتهام هذا الدين بمجموعة من الاتهامات التي ألصقت به زورًا خلال العقود الأخيرة، وخاصة بعد تاريخ ١١ سبتمبر ٢٠٠١.

هناك من قد يعترض على الرد الذي تبنته هذه الجمعيات، وأخص بالذكر كل فقيه أو باحث أو مسؤول مقيم في دولة عربية أو إسلامية، ولكن، بالنسبة للمسلمين المقيمين في الدول الغربية، فهناك حسابات أخرى، وتحديات أكبر، وإن إقدام هذه المنظمات على تبني خطوة الرد الحضاري على استفزاز أحزاب اليمين في الدول الأوروبية على الخصوص، جاء بعد الأخذ بعين الاعتبار مجموعة من المعطيات.

جميع الانتصارات والهزائم تنطلق من الانسان. الانسان أساس النصر وأساس الفشل. ما يحمله الانسان من أفكار وتصوّرات هو أساس كل شيء. الغرب المتمثّل في بريطانيا سابقاً وفي أمريكا وسائر الدول القوية بعد ذلك، سعت عن طريق دعايات مكثفة إلى ترسيخ الإحساس بالضعف في نفوس أبناء البلدان التي تسيطر عليها.

ألقت في أذهان هؤلاء أنهم غير قادرين على شيء، وعليهم أن يمدّوا يدَ التكدي إلى القوى الكبرى الشرقية والغربية في شؤونهم الصناعية والعسكرية والادارية.

من حديث الامام الخميني للعاملين في حقل الصناعات العسكرية ٢٢ نيسان ١٩٨٠

مؤتمر مكة المكرمة

افتتح في الرابع من حزيران بمكة المكرمة المؤتمر الإسلامي العالمي للحوار، شارك فيه سماحة الشيخ اكبر هاشمي رفسنجاني رئيس مجمع تشخيص مصلحة النظام ورئيس مجلس الخبراء في الجمهورية الإسلامية وسماحة الشيخ محمد علي التسخيري الأمين العام للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية كما حضر ٨٠٠ شخصية فكرية وعلمية وسياسية من جميع أرجاء العالم.

في كلمة افتتاح المؤتمر، دعا العاهل السعودي المشاركين إلى "ضرورة مناقشة التحديات التي تواجه الأمة الإسلامية في الوقت الحاضر"، موضحاً أن دعوته لمؤتمر الحوار جاءت لمواجهة تلك

التحديات، وبخاصة ممن وصفهم بـ"أهل الغلو والتطرف" من أبناء هذه الأمة ومن غيرهم.

وقال الملك عبد الله، موجهاً حديثه للحضور: "إنكم تجتمعون اليوم لتقولوا للعالم من حولنا، وباعتزاز أكرمنا الله به، إننا صوت عدل، وقيم إنسانية أخلاقية، وإننا صوت تعايش وحوار عاقل وعادل، صوت حكمة وموعظة وجدال بالتي هي أحسن".

وأضاف العاهل السعودي قائلاً: "من جوار بيت الله الحرام بدأنا، ومنه سننطلق في حوارنا مع الآخر، بثقة نستمدها من إيماننا بالله، ثم بعلم نأخذه من سماحة ديننا، وسنجادل بالتي هي أحسن، فما اتفقنا عليه أنزلناه مكانه الكريم في نفوسنا، وما اختلفنا حوله نحيله إلى قوله سبحانه وتعالى: لكم دينكم ولي دين".

بعد ذلك، ألقى مفتي عام المملكة، رئيس هيئة كبار العلماء وإدارة البحوث العلمية والإفتاء، الشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ، كلمة أكد فيها أن "الحوار بين البشر من ضروريات الحياة، وأن الخلاف بين الناس أمر موجود في طبائعهم وأخلاقهم"، مشيراً إلى أن الاختلاف "قضية أقرها القرآن".

وفي التفاتة هامة لسماحة الشيخ الرفسنجاني كان لها أثر كبير على مسير المؤتمر قال سماحته في جلسة الافتتاح:

إننا إذا أردنا الحوار مع أتباع الأديان الأخرى، فعلينا أن نبدأ الحوار فيما بيننا وبين أنفسنا، وأن نحدد مسيرة إسلامية محددة نتفق عليها ونتفاهم حولها، ونسير في هذا الطريق بتوحيد رؤانا

ولنعبر عن الرؤية الإسلامية في حوارنا مع الآخرين.

وأعلن استعداد الجمهورية الإسلامية الإيرانية للتعاون الشامل من اجل تعزيز و تكريس وحدة العالم الإسلامي .

و قال : إن المشاكل التي تعاني منها الأمة الإسلامية في عصرنا الحاضر لا يمكن ان تنكر .

وأضاف الشيخ رفسنجاني : بأن الشعب الفلسطيني المظلوم يعاني اليوم الحصار الظالم في قطاع غزة كما يتعرض لبنان إلى أزمة تبرز من خلالها رائحة التفرقة للنيل من وحدة هذا البلد، فيما العراق يخضع للاحتلال، وإن المحتلين يهددون الدول الاخرى في المنطقة .

و أشار الشيخ رفسنجاني الى المحاولات التي يقوم بها المحتلون الامريكيون لتوقيع اتفاقية أمنية مع العراق و قال : إنهم يخططون من خلال هذه الاتفاقية حتي يصبح الشعب العراقي عبدًا دائمًا لهم .

و دعا رئيس مجمع تشخيص مصلحة النظام الى مساعدة الشعب العراقي لإنقاذه من خطر الاحتلال و المشاكل التي سيقع فيها في المستقبل و الاستعمار غير الرسمي، مؤكدًا أن الشعب العراقي و من خلال يقظته و وعيه سينجو من هذه المصاعب والمشاكل .

كما شدد الشيخ رفسنجاني علي تعزيز الحوار بين العالم الإسلامي و الشعوب الأخرى في العالم للتوصل الى سبل للانقاذ من المشاكل الحالية و قال: إن الاستقرار والأمن هما شرطان

يسبقان جميع الأعمال و الخطوات، وإن انعدام الاستقرار و الامن أصبح اليوم خطرًا يتهدد الدول الإسلامية .

وكان لسماحة الشيخ التسخيري دور فاعل في المؤتمر بمقابلاته مع أجهزة الإعلام وفي لقاءاته وكلمته، فقد ركز على ضرورة ترتيب البيت الداخلي للمسلمين قبل الدخول في حوار مع الآخر. وعلى أن الآخر شكّل جبهة موحّدة لمواجهة العالم الإسلامي، فلابدّ من أن تكون جبهتنا موحّدة لندخل في حوار ندّي معهم، واستشهد بقوله تعالى ﴿وَالَّذينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ إِلاَّ تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ .

وراح سماحته يقدّم كلّ تجاربه في الحوار الإسلامي - الإسلامي والحوار الإسلامي - المسيحي من أجل توجيه المؤتمر الوجهة المثمرة المعطاءة التي تعود على المسلمين بالعزّة والكرامة وعلى العالم بأجمعه بالأمن والتعاون والسلام.

وكانت رابطة العالم الإسلامي قد أعلنت أن المؤتمر يهدف إلى التأصيل الشرعي لمفهوم الحوار الإسلامي مع أتباع الأديان والثقافات والحضارات المختلفة في العالم، مشيرة إلى أن محاور المؤتمر تركز على تحديد مفهوم الحوار، وبيان أهدافه وأسسه ومنطلقاته.

ناقش المؤتمر في يومه الأول قضايا "التأصيل الإسلامي للحوار" و"الحوار في القرآن والسنّة"، و"التجارب التاريخية للحوار"، وتناول اليوم الثاني قضايا "منهج الحوار وضوابطه ومحظوراته"، و"الحوار

مع أتباع الرسالات الإلهية"، و"الحوار مع أتباع الفلسفات الوضعية".

وناقش اليوم الثالث للمؤتمر عدداً من القضايا، منها "مستقبل الحوار في ظل الإساءات المتكررة للإسلام"، و"الأسرة والأخلاق في المشترك الإنساني".

ودعا البيان الختامي للمؤتمر الإسلامي العالمي للحوار الذي اختتم أعماله بمكة المكرمة إلى اعتماد الحوار المعمق لاستثمار المشتركات الإنسانية بين جميع الحضارات والأديان لإخراج البشرية من الأزمات التي تواجهها. كما أوصى المؤتمرون بإنشاء مركز للتواصل بين الحضارات والأديان.

كما أكد بيان المؤتمر على أن الإسلام يمتلك حلولا ناجعة للمشكلات التي تواجه العالم الإسلامي، وشدّد على أن الحوار مع الآخر منهج قرآني أصيل وسنة نبوية درج عليها الأنبياء.

وطالب المشاركون في المؤتمر بالانفتاح في الحوار على كافة الاتجاهات المؤثرة في الحياة المعاصرة، سياسية وبحثية وأكاديمية وإعلامية وغيرها.

كما أوصى المؤتمرون في بيانهم الختامي بإنشاء "جائزة الملك عبد الله بن عبد العزيز العالمية للحوار الحضاري تمنح "للشخصيات والهيئات العالمية التي تسهم في تطوير الحوار وتحقيق أهدافه".

القراء الكرام

المجلة تستهدف :

١ - تقـديم مفـاهيم التقريـب وقضـاياه باختصـار، ومحاولـة تطـوير الأسـلوب لينسـجم مـع حجـم المقـال والذوق الأدبي.

٢ - التركيـز علـى الجوانـب العمليـة القائمـة في الساحة وفي الأذهان بشأن وحدة الأمة الإسلامية.

٣ - التوجّـه إلى الثقافـة العامّـة للتنـوير ولمعالجـة الإشكاليات على ساحة أوسع من المهتمين بقضايا الأمة.

٤ - ربط قضية التقريب بالمشروع الكبير للأمة وهو تفعيل ثقافتها وتوجيه حركتها نحو استعادة وجودها الحضاري.

نتقدّم أولاً بالشكر لكلّ من ساندنا، ونطلب من القراء الكـرام أن يتفضـلوا علينـا بملاحظـاتهم ونقـدهم ومساهماتهم على العنوان:

azarshab@mohammadali.com